التمهيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوحيد.

المطلب الثاني: بيان أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وبيان أهميته.

المبحث الثالث: التعريف بالمذهب المالكي.

المبحث الأول: تعريف التوحيد وبيان أقسامه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوحيد.

المطلب الثاني: بيان أقسام التوحيد.

المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة وشرعا.

كلمة التوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيداً، وكلمة وحد في اللغة تدل على انفراد الشيء إما بذاته أو صفاته وحده توحيداً. جعله واحداً أو نسبه إلى الوحدانية.

يقال: وحده وأحده كما يقال ثناه وثلثه ورجل وَحَدُ ُووَحِدٌ ووحيد أي منفرد وتوحد برأيه: تفرد به[1] .

وقال ابن فارس المالكي [2]: "وحد: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله، قال بشار[3]:

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير[4].

ولقيت القوم موحد موحد، ولقيته وحده، ولا يضاف إلا في قولهم: نسيج وحده، وعيير وحده، وجحيش وحده، ونسيج وحده أي: لا ينسج غيره لنفاسته، وهو مثل. والواحد: المنفرد. وقول عبيد[5]:

والله لو مت ما ضرني وما أنا إن عشت في واحده.

---

1 (?) انظر الصحاح (2/547) مادة وحد.

2 (?) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي، من مصنفاته: فقه اللغة، ومجمل اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، حلية الفقهاء. ت: 395هـ.

انظر ترجمته في ترتيب المدارك (2/220)، وسير أعلام النبلاء (17/103).

3 (?) أبو معاذ البصري، الضرير، بلغ شعره الفائق نحواً من ثلاثة عشر ألف بيت. نزل بغداد، ومدح الكبراء، وهو من موالي بني عقيل. اتهم بالزندقة فضربه المهدي سبعين سوطاً لِيُقِرّ فمات منها. هلك سنة مائة وسبعة وستين، وبلغ التسعين.

انظر ترجمته في السير (7/24)، والأعلام، (2/52).

4 (?) ديوان بشار، (1/872).

5 (?) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مضر، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. وعمر طويلا حتى قتله النعمان بن المنذر.

انظر ترجمته في الشعر والشعراء (ص/84)، والأغاني (19/84)، والأعلام، (4/188).

يريد: ما أنا إن عشت في خلة واحدة تدوم؛ لأنه لا بد لكل شيء من انقضاء"[1].

وقال الأزهري [2]: "أما اسم الله جل ثناؤه أحد" فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره ، لا يقال رجل أحد ، ولا درهم أحد كما يقال رجل وحد ، أي فرد لأن أحداً صفة من صفات الله التي استأثر بها ، فلا يشركه فيها شيء ، وليس كقولك ، الله واحد ، وهذا شيء واحد, لأنه لا يقال شيء أحد ، وإن كان بعض اللغويين قال : إن الأصل في الأحد وحد... والواحد في صفة الله معناه أنه لا ثاني له[3]، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد ، فأما أحد فلا يوصف به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه"[4].

وقال ابن الأثير [5] في أسماء الله تعالى: " الواحد" هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر "[6].

---

1 (?) معجم مقاييس اللغة، باب الواو والحاء وما يثلثهما، "وحد"، (ص/1045).

2 (?) هو أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي أحد أهم علماء اللغة من مصنفاته: كتاب التهذيب في اللغة وعلل القراءات ، انظر ترجمه في السير (16/315) وطبقات السبكي (3/62).

3 (?) هكذا قال والأولى أن يقال: معناه أنه لا شريك له.

4 (?) تهذيب اللغة (5/194 -198) .

5 (?) هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ثم الموصلي ويلقب مجد الدين. من مصنفاته: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول، وغيرهما، ت: سنة (606).

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (21/488) ، وبغية الوعاة للسيوطي ص 385. والأعلام (5/272).

6 (?) النهاية في غريب الحديث (5/159) .

التوحيد في الشرع.

عرَّف أهل السنة والجماعة التوحيد بتعريفات متقاربة يجمعها إفراد الله بأسمائه وصفاته وملكه وتدبيره وعبادته وحده دون من سواه. وقد جاءت تعريفات أئمة المالكية مبينة لهذا، فمن ذلك:

1- قول الإمام مالك[1] -رحمه الله- لما سئل عن التوحيد حيث قال : "محال أن نظن بالنبي - صلى الله عليه وسلم- أنه علم أمته الاستنجاء ، ولم يعلمهم التوحيد التوحيد ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم- " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد "[2].

2- وخرج–رحمه الله– في الموطأ عن ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بجارية له سوداء، فقال : يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة ، أفأعتق هذه ؟ فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم-:" أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟" قالت: نعم " قال "أتشهدين أن محمداً رسول الله ؟" قالت نعم . قال : أتوقنين بالبعث من بعد المــوت ؟" قالت: نعم، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " فأعتقها إذاً "[3].

فجعــل النــبي - صــلى الله عليه وســلم-إقــرار الجاريــة بشــهادة أن لا إلــه إلا اللــه وأن محمـداً رسـول اللـه دليلاً على الإيمان الذي هو حقيقة التوحيد ومعناه.

---

1 (?) ستأتي ترجمته في مبحث خاص.

2 (?) انظر: شرح البخاري لابن بطال المالكي، (5/99)، وسير أعلام النبلاء، (10/26)، وجهــود علمــاء المالكيــة في تقريــر توحيد العبادة للعرفج، (ص/35).

3 (?) الموطأ (2/ 405) برقم 2731.

3- ولما سأله الإمام ابن القاسم [1] عن الإسلام الذي إذا أجابت به الجارية حل وطؤها والصلاة عليها؟ قال: إذا شهدت أن لا إله إلا الله وأن محــمداً رسول الله أو صلت فقد أجابت بأمر يعرف أيضاً أنها دخلت في الإسلام"[2].

4- قول ابن القاسم: قال سحنون [3] رحمه الله: قلت لابن القاسم:

أرأيت من نزل بهم أهل الشرك بساحلنا فباعوهم منا، وهم صبيان فماتوا قبل أن يتكلموا بالإسلام بعدما اشتريناهم ، هل تحفظ عن مالك فيهم شيئاً ؟ قال : نعم لا يصلى عليهم حتى يجيبوا إلى الإسلام"[4].

فهذا منه بيـان لمعـنى التوحيـد الـذي هـو شـرط للحكم بإسلام المكلف وجواز الصلاة عليه.

---

1 (?) هو: أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي مولاهم عالم الديار المصرية وفقيهها صاحب الإمام مالك قال عنه الإمام مالك " مثله كمثل جراب مملوء مسكا" ت سنة 191هـ.
انظر ترجمته في السير (9/120) الانتقاء (ص/94)، ترتيب المدارك (1/250)، والأعلام (3/323).

2 (?) المدونه (1/179).

3 (?) هو: عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون ، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب وانشرت إمامته في المشرق والمغرب وسلم له بالإمامة أهل عصره واجتمعوا على فضله وتقديمه توفي سنة 240هـ.
انظر في ترجمته " ترتيب المدارك (1/339-363) و رياض النفوس (1/345-375)، وسير أعلام النبلاء (12/63-65).

4 (?) المدونة (1/179 -180)

5- قال أبو بكر الطرطوشي [1]-رحمه الله-: " اعلموا أرشدكم الله تعالى – أن لا إله إلا الله هي العروة الوثقى ، ومركب النجاة ، وسفينة نوح ، من عدل عنها هلك ، ومن ركبها خلص ونجا وهي قطب الإسلام ، وقاعدة الأديان ، وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه بها"[2]

6- وقال:وحسبك شرفا وإجلالا لهذه الكلمة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:"لقنوا موتاكم لا إله إلا الله "[3]

فمفتاح الدخول في الإسلام لا إله إلا الله ، وخاتم الخروج من الدنيا والقدوم على الله تعالى "لا إله إلا لله"[4].

فقد ذكر رحمه الله أن كلمة التوحيد هي لا إله إلا الله وأنها مفتاح الدخول في الإسلام ولا يصح التوحيد إلا بها مما يجلي المعنى الشرعي للتوحيد .

7- قال الإمام أسد بن الفرات [5] -رحمه الله- منكراً على بشر المريسي [6] حين ألف كتاباً في التوحيد:" أو جهل

1 (?) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي الفقيه الزاهد من مؤلفاته : سراج الملوك ، الحوادث والبدع ، ت سنة (520) انظر ترجمته في بغية الملتمس (ص/117) رقم 295، والسير (19/490)، ووفيات الأعيان (4/262).

2 (?) الدعاء المأثور وأدابه (ص/185).

3 (?) أخرجه مسلم في كتاب الجنـائز ، بـاب تلقين المـوتى لا إله إلا الله .

4 (?) الدعاء المأثور وآدابة (ص/185) .

5 (?) هو الإمام العلامة القاضي الأمير مقدم المجاهدين، عالم المدينة أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم الحراني ثم المغربي من مؤلفاته الأسدية (ت سنة 213هـ) أنظر ترجمته في ترتيب المدارك (1/270) . والسير (10/225)، والأعلام (1/298).

6 (?) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي أبو عبد الرحمن المتكلم المناظر كان من كبار الفقهاء ونظر في الكلام , فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره مات سنه (218 هـ) انظر ترجمته في

الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتاباً! هذه نبوة ادعاها"[1].

يريد رحمه الله أن الناس يعرفون المعنى الشرعي للتوحيد فلا حاجة إلى أن يؤلف لهم المريسي كتاباً لبيان التوحيد على حد زعمه.

8- قول القاضي عبد الوهاب البغدادي [2] – رحمه الله – حيث قال مبيناً متى تقبل توبة المرتد ومستدلاً على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم"[3][4] . فبين رحمه الله أن الإقرار بالشهادة عاصم للدم وهو دليل على الدخول في الإسلام سواء قبل الدخول فيه أو بعد الردة , وهذا من أعظم ما يوضح المعنى الشرعي للتوحيد.

9- ومما يجلي المعنى الشرعي للتوحيد عند المالكية ما قاله ابن بطال [5]- رحمه الله –

السير (10/199) وفيات الأعيان (1/277).

1 (?) رياض النفوس، (1/264).

2 (?) هو الإمام العلامة شيخ المالكية بالعراق القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي انتهت إليه رئاسة المذهب في زمنه من مصنفاته الاشراف على مسائل الخلاف التلقين وغيرهما ت: سنة (422هـ) انظر ترجمته في : السير (17/129- 432) والإعلام (4/184) وترتيب المدراك (2/272)، وشجرة النور الزكية (1/154).

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان – باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ..

4 (?) المعونه على مذهب عالم المدنية (2 / 295)، وانظر جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة، (ص/44).

5 (?) هو الشيخ العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي كان من أهل العلم والمعرفة والفهم مليح الخط حسن الضبط من مصنفاته : شرح صحيح البخاري ، وكتاب الزهد والرقائق : ت سنة : 449هـ انظر ترجمته في السير (18/247) الصلة ص 332 برقم 892، ترتيب المدارك (2/365).

حيث قال عند شرحه لحديث عبادة – رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهــم اغفر لي- أو دعا - استجيب له ... الحديث"[1].

قال رحمه الله: "وفيه ما وعد الله عباده على التيقظ من نومهم لهجة السنتهم بشهادة التوحيد له، والربوبية والإذعان له بالملك والاعتراف له بالحمد على جزيل نعمه التي لا تحصى"[2].

وقال عند شرحه لحديث شداد بن أوس أن رسول الله قال : سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت . الخ .... الحديث [3]

قوله عليه السلام " أنا على عهدك ووعدك ما استطعت " يعني : العهد الذي أخذه الله على عباده في أصل خلقتهم حين أخرجهم من أصلاب أبائهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم (ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ) [الأعراف:172]فأقروا له في أصل خلقتهم بالربوبية ، وأذعنوا له بالوحدانية. والوعد: هو ما وعدهم تعالى أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً وأدى ما افترض الله عليه أن يدخل الجنة"[4]

فبين رحمه الله أن وعد الله الجنة لمن جاء بالتوحيد وهو إفراده تعالى بالوحدانية وإخلاص العمل له والسلامة من الشرك وهذا فيه بيان لمعنى التوحيد.

وقال رحمه الله عند شرحه لحديث إدبار الشيطان عند سماع الأذان : "إنما يهرب -والله أعلم- من اتفاق الكل

---

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب التهجد . باب فضل من قام من الليل .

2 (?) شرح صحيح البخاري (3/117-118) .

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات – باب أفضل الاستغفار .

4 (?) شرح صحيح البخاري (10/75-76)

على الإعلان بشهادة التوحيد لله كما يفعل يوم عرفة لما يرى من اتفاق الكل على الإعلان بشهادة التوحيد لله تعالى"[1].

وقال في حديث كفه عن قتال من يسمع منهم أذاناً" إنما يحقن الدم بالأذان لأن فيه الشهادة بالتوحيد لله و الإقرار بالرسول" [2]

فقد أوضح رحمه الله أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله وهو الذي به تحقن الدماء وهذا من أوضح ما يكون في بيان المعنى الشرعي للتوحيد.

10- وأما ابن العربي [3] فعند شرحه حديث " لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا.... "[4]

فقد قال: أما فضل النداء فمعلوم ،وأصوله أربعة:أحدها: ما فيه من توحيد الله تعالى وتعظيمه، والشهادة لرسوله والدعاء لعبادته[5]

وقال في أثناء كلامه على التوحيد:"وبهذا المعنى وقع البيان في قوله لأبي ابن كعب:" أي آية في القرآن أعظم" قال: (ﮣ   ﮪ) [البقرة:255] قال: ليهنك العلم يا أبا المنذر"[6] وإنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها، كما صار قوله : " أفضل ما قلته أنا والنبيون من

---

1 (?) شرح صحيح البخاري (2/234)

2 (?) شرح صحيح البخاري (2/239)

3 (?) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي قاض من حفاظ الحديث كان فصيحا أديباً شاعراً كثير الخير مليح المجلس ، من مؤلفاته : أحكام القرآن ، العواصم من القواصم" ت سنة (543 هـ) انظر ترجمته – الأعلام (6/230) – الديباج ص 376

4 (?) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الآذان باب الاستهام في الأذان ، ومسلم في كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف وأقامتها.

5 (?) القبس (1/198).

6 (?) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.

قبلي : لا إله إلا الله ..." الحديث [1] . أفضل الذكر لأنها كلمات حوت جميع علوم التوحيد.. ثم قال: فإن الله عز وجل جمع التوحيد كله في آية الكرسي..." [2]

فسمى رحمه الله – ما في النداء الأول توحيد وهو قول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وذلك؛ لأنها حوت جميع أقسام التوحيد كما سيأتي بيانه .

11- ذكر ابن أبي جمرة [3] أنه لابد من الإقرار بكلمة التوحيد وإعلانها حيث قال في كتابه " بهجة النفوس " تحت عنوان " حديث قتال المشركين حتى يعلنوا بكلمة التوحيد " ثم أورد قوله ﷺ:"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله"[4].

ثم قال مبينا معنى ذلك : " على ما جئت به، وما جاء ﷺ به هو الإقرار بالوحدانية على ما هي عليه من الجلال والكمال ونفي الشريك والضد"[5].

فبين رحمه الله أن التوحيد الذي يعصم الدم والمال الشهادة بـ" لا إله إلا الله" الذي يتضمن الإقرار والإعلان بهذه الكلمة وذلك معنى التوحيد في الشرع.

وهكذا نجد أن هؤلاء المحققين من أئمة المالكية قد بينوا المعنى الشرعي للتوحيد وهو ما تضمنته كلمة التوحيد لا

---

1 (?) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة ، والبيهقي في السنن الكبرى (4/284) وعبدالرزاق في مصنفه(4/378) وقال عنه الألباني – رحمه الله - حسن لغيره أنظر صحيح الترغيب (2/226).

2 (?) القبس (1/232-233)

3 (?) هو أبو محمد عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة مالكي أصله من الأندلس توفي بمصر سنة 695هـ من مؤلفاته " مختصر البخاري " وشرحه " بهجة النفوس " انظر ترجمته في نيل الابتهاج (1/230) والأعلام (4/89).

4 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الاسلام والنبوة.... ومسلم في كتاب " الإيمان" باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

5 (?) بهجة النفوس (3/132)، وانظر جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة للدكتور عبد الله العرفج (ص/53)

إله إلا الله وهذا من تفسير الشيء بذكر بعض أفراده فإن شهادة أن لا إله إلا الله تدل على أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات دلالة مطابقة وتضمن والتزام؛ وذلك أن هذه الأنواع الثلاثة متلازمة وكل واحد منها يشمل بقية الأقسام عند الإطلاق والخلو من القرينة، فإذا ذكر توحيد الأسماء والصفات دخل فيه توحيد الربوبية والألوهية؛ لأن الرب والإله قد وردت أسماء لله تعالى فقد قال ﷺ : "فأما الركوع فعظموا فيه الرب"[1].

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله- في بيان هذا الأمر:" إن صفات الرب جل جلاله داخلة في مسمي اسمه ، فليس اسمه " الله " والرب " و" الإله" أسماء لذات مجردة لا صفة لها البتة فإن الذات المجردة وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال "[2].

فإذا ثبت أن الرب والإله من أسماء الله وكل اسم فهو دال على صفة كما هو معلوم ؛ صار توحيد الربوبية والألوهية داخل في توحيد الأسماء والصفات عند الإطلاق.

ويدل لذلك أن السلف رحمهم الله سموا مؤلفاتهم التي فيها بسط الكلام على الأسماء والصفات -كتب التوحيد - كمثل كتاب التوحيد من صحيح البخاري وكتاب التوحيد لابن منده وكتاب التوحيد لابن خزيمة، ويعتبرون ما يوردونه من نصوص كافياً في إيضاح حقيقة التوحيد وبيان معناه الشرعي.

ومما يدل على ذلك أيضاً ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – حيث يقول:" فدين الإسلام مبني على أصلين من خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين: أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً . وعلى أن نعبده بما شرع لا بالحوادث والبدع وهو حقيقة قول: لا

---

1 (?) خرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.

2 (?) مدارج السالكين (3/337).

إله إلا الله محمد رسول الله. فإن الإله هو الذي تألهه القلوب عبادة ، واستعانة، ومحبة، وتعظيماً، وخوفا، ورجاء، وإجلالا، وإكراماً، وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره فلا يعبد إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله "[1] انتهى.

ومن المعلوم أن هذه العبادة تتضمن معرفة المعبود بنعوت جلاله وصفات كماله وعظمته فمن كان بالله أعرف كان له أكمل عبودية.

وهذا هو ما يدل عليه كلام شيخ الإسلام المتقدم حيث أنه يرى أن عبادة الله وحده شاملة لتوحيد الأسماء والصفات توحيد الربوبية توحيد الألوهية ولو كانت عبادة الله وحده لا يدخل فيها توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكانا غير داخلين في أصلي الإسلام اللذين بينهما.

ومما يدل على تضمن توحيد الألوهية لتوحيد الأسماء والصفات والربوبية حديث معاذ – رضي الله عنه- حينما بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم-إلى أهل اليمن معلماً فقال له في معرض وصيته: " فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله "[2]. وفي رواية:"إلى أن يوحدوا الله "

فجعل الدعوة إلى التوحيد شاملة لتوحيد الأسماء والصفات والربوبية والألوهية فدل ذلك على أن شهادة أن لا إله إلا الله شاملةً لكل أنواع التوحيد، وإلا لكان معاذا لم يبلغهم شيئاً يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية، وهذا محال إذ لا يمكن تأخير البيان عن وقت الحاجة [2].

---

1 (?) الاستغاثة (ص/53).

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، وشرائع الإسلام.

(2) حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية للدكتور علي بن نفيع العلياني ص91 وما بعدها

المطلب الثاني : أقسام التوحيد

يقسم أهل السنة والجماعة التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية ،وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، ومنهم من يجعل القسمة ثنائية: توحيد معرفة وإثبات وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء الصفات, وتوحيد إرادة وطلب وهو توحيد الألوهية[1] وهذا التقسيم تقسيم تنوع وليس تقسيم تضاد واختلاف على ما سأبينه لاحقاً.

أولاً: التقسيم الثلاثي:

يرى أصحاب هذا التقسيم من أهل السنة والجماعة أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فأما توحيد الربوبية: فهو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشؤون خلقه كلها لا شريك له في ذلك[2] ، أو هو توحيده بأفعاله أي الاعتقاد بتفرده بالخلق والرزق والتدبير[3] .

وأما توحيد الألوهية: فهو إفراد الله بالعبادة مثل الدعاء والخضوع والذل والمحبة والخشية والإنابة وغيرها ومتعلقه أعمال المكلف، أو بعبارة أخرى الإقرار والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين [4].

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.[5]

وقد دل على هذه الأقسام استقراء الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ، فمن الأدلة على هذه الأقسام من

---

1 (?) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، د/عبد الرزاق البدر (ص/16) .

2 (?) المصدر السابق (ص/16).

3 (?) انظر القول السديد بشرح كتاب التوحيد للسعدي ضمن رسائل المتون العلمية (1/21) .

4 (?) انظر دعوة التوحيد – لخليل هراس (ص/37).

5 (?) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص/66) .

الكتاب أول سورة في المصحف وهي قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) [الفاتحة: ٢ – ٤].

ففي: "رب العالمين ، مالك يوم الدين " ، الدلالة على توحيد الربوبية .

وفي: " الرحمن الرحيم " ، الدلالة على توحيد الأسماء والصفات.

وفي: " إياك نعبد وإياك نستعين" الدلالة على توحيد الألوهية. وكما دلت أول سورة في القرآن على أقسام التوحيد الثلاثة فكذلك آخر سورة منه دلت على هذه الأقسام وهي سورة الناس (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) [الناس: 1-3] فالقرآن كله دال على هذه الأقسام.

فإما أن تكون الدلالة على ذلك في موضع واحد كما تقدم في سورة الفاتحة وسورة الناس اللتين هما فاتحة المصحف وخاتمته وكما في قوله تعالى في سورة مريم **(** ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ **)** [مريم: ٦٥]

وإما أن تكون الدلالة على كل نوع من أنواع التوحيد منفصلا . فمن ذلك :

1- توحيد الربوبية كقوله تعالى: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ) [الأعراف: 54] وقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) [الرعد:16] وقوله: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩] وقوله (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ) [غافر: ٦٤] وقوله:(ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [الزمر: ٦٢]

وغيرها من الآيات.

2- الآيات الدالة على توحيد الألوهية كقوله تعالى (ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ) [البقرة: 21] وقوله: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) [الزمر:2-3] وقوله: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ) [الزمر: ١٤ -15] وقوله: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ)[البينة:5] وغيرها من الآيات.

3- الآيات الدالة على توحيد الأسماء والصفات منها :

قوله تعالى: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ) [البقرة: 255] وقوله: (ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)[الأعراف: 180] وقوله: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ) [طه: 8] وقوله تعالى: (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ) [النحل: ٧٤] وقوله تعالى: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) [الإسراء: 110] ، وقوله: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ) [الشورى: ١١] وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص، وغيرها من الآيات.

وبالجملة فالقرآن كله دال على أقسام التوحيد الثلاثة.

وأما السنة ففيها من النصوص الدالة على أنواع التوحيد الثلاثة ما لا يتسع المجال لذكره وحسبي أن أشير الى بعض منها، فمن ذلك :

1. قوله ﷺ: "إذا أردت مضجعك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة "[1] . والفطرة هي التوحيد.
2. ما جاء في دعائه ﷺ العظيم الذي يفتتح به تهجده بالليل والذي يشتمـل على أنواع التوحيد الثلاثة: ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا قام من الليل يتهجد قال: " اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت،أو لا إله غيرك "[2]
3. دعاء الكرب الذي كان يقوله عليه الصلاة والسلام عند الكرب كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما:أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند الكرب " لا إله إلا الله العظيم

---

[1] (?) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ،" باب ما يقول إذا نام"،ومسلم في كتاب الذكر والدعاء " باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع" .

[2] (?) أخرجه البخاري في أبواب التهجد – باب التهجد بالليل ، ومسلم في كتاب الصلاة –باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه".

الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السمــوات ورب الأرض ورب العرش الكريم "[1] .

4.دعاء الاستخارة : التي كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يعلمها أصـــحابه

كما يعلمهم السورة من القرآن، فعن جابر رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: " إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: - في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال:- في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته"[2]

وقد قرر علماء المالكية أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام متبعين بذلك الكتاب والسنة وموافقين إخوانهم من أئمة أهل السنة والجماعة, ومؤلفاتهم شاهدة بذلك وحسبنا أن نذكر بشيء من ذلك لتتبين جهودهم في هذا الباب، فمن ذلك :-

---

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب " وكان عرشه على الماء "، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء –باب استحباب الدعاء.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة .

1- **ما ذكره الإمام ابن أبي زيد القيرواني** [1] في مقدمة الرسالة حيث يقول في بيان ما يجب على المسلم اعتقاده والنطق والعمل به:

"من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان[2] أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له, ولا صاحبة له ، ولا شريك له , ليس لألوهيته ابتداء ، ولا لآخريته انتهاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون, يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته (ۀ ... ى ى)[البقرة: ٢٥٥] إلى أن قال: "... تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنى خالقاً لكل شيء هو رب العباد ورب أعمالهم، والمقدرلحركاتهم وآجالهم الباعث للرسل فيهم لإقامة الحجة عليهم"[3]

فقد بين رحمه الله في هذه المقدمة أقسام التوحيد الثلاثة:

1- "توحيد الألوهية" ويدل عليه قوله: "إن الله لا إله إلا هو" فإن إله بمعنى معبود، فالإله: هو الذي تألهه القلوب أي: تعبده محبة وتعظيماً.
2- وفي قوله " لا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ،

---

1 (?) هو الإمام العلامة القدوة الفقيه عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي يقال له مالك الصغير وكان أحد من برز في العلم والعمل حاز رئاسة الدين والدنيا . من مصنفاته : النوادر والزيادات ، الرسالة وغيرهما ت: سنة (386هـ) انظر ترجمته في السير (17/10) والمدارك (2/141).

2 (?) هذا التعريف للإيمان غير مكتمل بل لا بد من عمل الجوارح لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة " اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

3 (?) رسالة ابن أبي زيد، تقديم العلامة بكر بن أبو زيد، (ص/ 56-58).

ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون "الدلالة على توحيد الأسماء والصفات" .

5- وفي قوله " تعالى أن يكون في ملكه مالا يريد أو أن يكون لأحد عنه غنى أو يكون خالقاً لشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم "الدلالة على توحيد الربوبية وأنه سبحانه خالق كل شيء ومالكه ومدبره .

2- **قول أبي بكر الطرطوشي - رحمه الله -** حيث قال في مقدمة كتابه سراج الملوك:"

أشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الأوفى "[1] .

فقد صرح رحمه الله بأقسام التوحيد الثلاثة بكلام واضح بين لا مزيد عليه.

---

1 (?) سراج الملوك (1/7) .

3- **ما ذكره القاضي عبد الوهاب -رحمه الله-** في شرحه لعقيدة ابن أبي زيد حيث
قال: "وإن أردت ما اسمه فاسمه الرحمن الرحيم ، الحي القيوم، وإن أردت ماصنيعه فالإنعام على عباده والإحسان إليهم ، والتفضل والامتنان , وإن أردت ما شرعه ، فشريعته : التعبد لوجهه والأمر بالعدل والإحسان، وصلة الرحم .." إلى أن قال ... فأما اعتبار المتفكرين بآياته : فهو استدلالهم على وجوده بأفعاله وآثار صنعه وتقدمه على إحداثه لخلقه إذ أن المحدث لا يفعل شيئاً في غيره ، وبإحكام فعله واتقان صنعه على علمه إذ كانت الأفعال المحكمة والصنائع المتقنه ، لا توجد إلا من عالم بحقائقها ، وعلى قدرته بما ظهر من أفعاله التي لا تصلح من عباده"[1].

4- **ما ذكره الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي المالكي** [2] رحمه الله في نونيته
التي إشتملت على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين من جميع الطوائف حيث يقول في بيان توحيد الربوبية :

---

1 (?) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبي محمد بن أبي زيد (ص/ 22)

2 (?) هو الإمام الحبر العلامة الرباني أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني الأديب الشاعر السلفي المالكي ولم أجد له ترجمة ولكنه مالكي و مما يدل على أنه مالكي ما جاء في نونيته من قوله:

"الغسل فرض والتدلك سنة... وهما بمذهب مالك فرضـان...
وهو مذهب الزهري ووافق مالك.... وكلاهما في شرعنا علمان

انظر: تحقيق النونية القحطانية جمع الشيخ عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع(ص/ 6).

أنت الذي صـــــــــورتني وخلقني وهديتـــــــني لشرائــع الإســــــلام
أنت الذي علمـــــــــتني ورحمتني وجعلت صدري واعـــي القـــــــرآن
أنت الذي أطعمـــــــــتني وسقيتني من غير كسـب يد ولا دكـــــــــــان

ويقول في توحيد الألوهية:

...لأسبحـــــــنك بكرة وعــشية ولتخـــــــــدمنك في الدجى أركـــــــانـي
ولأذكرنك قائـــــــما أو قاعـــدا ولا أشكـــون إليك جهـــد زمـــــــــاني
ولأقصـــــــدنك في جميع حوائجي من دون قصـــــــــــــد فلانــة وفـــلاني

وفي بيان توحيد الأسماء والصفات يقول-رحمه الله-

فالله ربي لم يزل متكلما حقا إذا ما شاء ذو إحسان
نادى بصوت حين كلم عبده موسى فأسمعه بلا كتمان
وكذا ينادي في القيامة ربنا جهرا فيسمع صوته الثقلان
...فاعلم بأن الله رب واحد متنـزه عن ثالث أو ثاني
الأول المبدي بغير بداية والأخر المفني وليس بفاني
وكلامه صفة له وجلالة منه بلا أمد ولا حدثان[1]

5- **ما ذكره الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي المالكي** [2]-رحمه الله- في منظومتــه لعقيدة ابن أبي زيد حيث قال في بيان أقسام التوحيد الثلاثة:

..أن الإله إله واحد صمد فلا إله سوى من للأنام برا

---

1 (?) النونية للقحطاني ضمن أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة جمع علي بن سليمان آل يوسف ص 23.

2 (?) هو الشيخ، أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهـبي التميمي: فقيه مالكي، كثير النظم، سـلفي العقيـدة، من أهل الأحسـاء، تعلم ودرس بها، وولي قضـاءها. له منظومـات في التوحيد والرد على المعطلة، ومــدائح جمعت في مجلد باسم "ديوان ابن مشرف". توفي سـنة 1285هـ. انظر ترجمته في الأعلام (1/182)، وشعراء هجر (ص/77)، وعقد الدرر، طبعة وزارة المعـــارف، (ص/25،51)، وتحفة المســتفيد بتـــاريخ الأحساء (2/109).

رب السموات والأرضين ليس لنا إلـا رب سواه تعالى من لنا قطرا
وأنه موجد الأشياء أجمعها بلا شريك ولا عون ولا وزرا

إلى أن قال في ذكر شيء من صفات الباري جل جلاله:

..وهو المنـزه عن ولد وصاحبة ووالد وعن الأشياء والنظرا
لا يبلغن كنه وصف الله واصفه ولا يحيط به علما من افتكرا
وأنه أول باق فليس له قدرا[1]

فقد جمع رحمه الله في هذه الأبيات أقسام التوحيد الثلاثة بمالا مزيد عليه ولا يحتاج إلى شرح أو بيان.

6- **ما ذكره العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي** [2] في تفسيره العظيم أضواء البيان مبينا أقسام التوحيد الثلاثة مستدلاً على كل قسم بالقرآن العظيم حيث قال : " وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول : توحيده في ربوبيته وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء ، قال الله تعالى: (   ) [الزخرف: 87] ثم ذكر الآيات الدالة على هذا النوع وأجاب عن إنكار فرعون لهذا النوع مبينا أنه تجاهل من عارف أنه عبد مربوب وذكر الآيات الدالة على ما تقدم ثم قال :" .. وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله كما قال تعالى : (ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ)[يوسف: ١٠٦] ثم قال :

[1] (?) نظم عقيدة ابن أبي زيد لأحمد بن مشـرف بقلم الشـيخ بكر ابو زيد – رحمه الله – ص63-64

[2] (?) هو العلامة الأصولي المفسر محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر من أولاد الطالب أوبك يرجع نسبه إلى قبيلة حمير ولد عام 1325هـ عند ماء يسمى " تنبه" من أعمال مديريه " كيفا" في موريتانيا طلب العلم في بلاده ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية والتقى بعلمائها وأفاد منهم وتتلمذ عليه عدد من طلبة العلم وتوفي في مكة في اليوم السابع عشر من ذي الحجة عام 1393هـ من مؤلفاته: أضواء البيان، ومذكرة أصول الفقه، ودفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب.

انظر ترجمته. جمع عبد الرحمن السديس وترجمته للدكتور عبد العزيز الطويان ضمن كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير العقيدة . (1 /29-87) .

" **الثاني :** توحيده جل وعلا في عبادته وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى لا إله إلا الله وهي متركبة من نفي وإثبات فمعنى النفي فيها : خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع العبادات كائنة ما كانت ومعنى الإثبات منها : إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) [ص: 5]

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ( ) [محمد: 19] ثم قال رحمه الله بعد ذكر الآيات الدالة على هذا النوع من أنواع التوحيد :

النوع الثالث : توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته وهذا النوع من التوحيد يبنى على أصلين :-

الأول : تنـزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم كما قال تعالى: (ﭡ ﭢ ﭣ) [الشورى: ١١]

الثاني : الإيمان بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق بكماله وجلاله كما قال بعد قوله:"ليس كمثله شيء "وهو السميع البصير" مع قطع الطمع عن إدراك كيفية

(
ا

الاتصاف قال تعالى: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)[طه: 110]

ثم ذكر الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد [1]

قال-رحمه الله تعالى-وهو يقرر أقسام التوحيد الثلاثة لأحد أبنائه:" ياولدي! اعلم أن التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام، وأن هذه القسمة استقرائية، والاستقراء: هو تتبع النصوص، كما أن النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب؛ إما اسم، أو فعل أو حرف، فكذلك علمنا أقسام التوحيد من تتبع القرآن، فالله تعالى قسَّم التوحيد ثلاثة أقسام في سورة الفاتحة، فقال: (ﭑ ﭒ) [الفاتحة:2] والله هو المعبود بحق، (ﭓ ﭔ) [الفاتحة:2] والرب هو الذي يربي الأشياء، وهذا توحيد الربوبية،(ﭖ ﭗ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) [الفاتحة: 3،4]، وهذا توحيد الأسماء والصفات، وقوله: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) [الفاتحة:5] دل على توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية أن تكون جميع أعمالك خالصة لله، من صلاة، وصيام وزكاة، ونذر، وخوف، ورجاء، وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله، وتوحيد الربوبية: ما يكون في الكون، فهو صادر عن الله تعالى، وتوحيد الألوهية شكر على توحيد الربوبية؛ لأن الله ربك فتشكره بأن تكون أعمالك خالصة له، ولا تشارك غيره بها.

وأما توحيد الأسماء والصفات، فهو مبني على ثلاثة أسس:

الأول: تصديق الله فيما قال.

الثاني: تنـزيه الله عن مشابهة خلقه.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك الكيفية[2].

وهذا الذي يقرره المحققون من أئمة المالكية سلفا وخلفا هو ما يقرره أئمة السلف.

---

1 (?) أضواء البيان (3/410- 414) وانظر القول السديد للبدر (ص/ 22).

2 (?) انظر: جهود الشيخ محمـد الأمين الشـنقيطي في تقريـر عقيـدة السـلف، تـأليف،د: عبـدالعزيز بن صـالح الطويـان، (1/95).

يقول الإمام الطحاوي-رحمه الله- في مقدمة العقيدة الطحاوية:"نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لاشريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره"[1].

[1] (?) العقيدة الطحاوية مع شرحها لأبي العز، (ص/77-109).

ثانيا : التقسيم الثنائي:

يقسم بعض أهل السنة والجماعة التوحيد إلى قسمين:-

الأول : توحيد في المعرفة والإثبات أو التوحيد العلمي الخبري

الثاني : توحيد في الطلب والقصد أو التوحيد الإرادي الطلبي .

وممن ذكر هذا التقسيم من أئمة المالكية الشيخ عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- حيث قال: التوحيد: هو اعتقاد وحدانية الله، وإفراده بالعبادة، والأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي، ولا يكون المسلم مسلما إلا بهما لقوله تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ **)** [الإخلاص:1-4] (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) [الكافرون:1-6][1]

فقوله-رحمه الله- التوحيد العلمي، هو توحيد الإثبات والمعرفة؛ لأن معنى ذلك اعتقاد انفراد الله عز وجل بالملك والخلق والتدبير، وبما يختص به من الأسماء الحسنى والصفات العلى. وفي قوله: التوحيد العملي: إثبات توحيد العبادة، وهو توحيد الألوهية؛ إذ معناه عند أهل السنة إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة التي يعملها العباد، ويقومون بها؛ وذلك بقصده وحده دون من سواه، وهو ما يعبر عنه بتوحيد القصد والطلب[2].

وتقريره هو الذي يقرره أهل السنة.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر أقوال الطوائف المنحرفة في التوحيد ... وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، و نزلت به كتبه فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد .

---

1 (?) فتح رب البرية بشرح العقائد الإسلامية، (ص/232).

2 (?) يقول العلامة ابن عثيمين-رحمه الله- وهو يسمى توحيد الألوهية، ويسمى توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله، فهو توحيد الألوهية، وهو باعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد العبادة. انظر: شرح العقيدة الواسطية، (1/24).

فالأول : هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته ، وأفعاله وعلوه فوق سماواته على عرشة ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه لمن شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه ، وقدره ، وحكمه ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح ، كما في أول سورة الحديد وسورة طه ، وأخر سورة الحشر ، وأول سورة تنزيل السجدة ، وأول سورة آل عمران وسورة الإخلاص بكمالها . وغير ذلك

النوع الثاني : مثل ما تضمنته سورة (ٱ ٻ ٻ) [الكافرون: 1] وقوله:(ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ) [آل عمران: 64] وأول سورة (ڄ ڃ) [الزمر:1] وآخرها . وأول سورة "يونس" ووسطها وآخرها وأول سورة الأعراف، وآخرها، وجملة سورة " الأنعام " وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد.

بل نقول قولاً كليا : إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه : فإن القرآن : إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله . فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، والزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد [1].

وممن ذكر هذا التقسيم الثنائي أيضا الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية[2]، وملا على قارئ في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة[3].

وعند التأمل نجد أنه لا منافاة بين القسمة الثنائية، والثلاثية، الذين قسموا التوحيد إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات، وتوحيد طلب وقصد جعلوا توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات نوعا واحدا، أطلقوا عليه توحيد

---

1 (?) مدارج السالكين، (3/417).
2 (?) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (ص/89-90).
3 (?) انظر: (ص/22-23).

المعرفة والإثبات، أي معرفة الله بأسمائه وصفاته، وإثبات ربوبيته لجميع الخلق، وجعلوا توحيد الألوهية توحيد قصد وطلب، وهذا لا إشكال فيه.

وأما الذين قالوا بالقسمة الثلاثية فجعلوا توحيد الأسماء والصفات قسما مستقلا عن توحيد الربوبية، وأكثر أهل السنة والجماعة على هذا.

المبحث الثاني : توحيد الأسماء والصفات وبيان أهميته.

لما كان أول واجب على المكلف توحيد الله عز وجل وكان هذا الواجب يقتضي معرفة الله تعالى التي لا تتم على الوجه الأكمل إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله والإيمان بتلك الأسماء والصفات والأفعال وإقرارها إذ بها تعرف الله إلى عباده وتلك هي خلاصه دعوة الرسل وعندها تلتقي الشرائع .

ولكون توحيد الأسماء والصفات هو أدق أقسام التوحيد مسلكا وقد زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وحصل فيه الاختلاف بين أهل القبلة كان لا بد من إفراده في مبحث مستقل لبيان أهميته وعلو منزلته.

إن مما هو معلوم أن من تمام التوحيد الذي لا بد منه، معرفة كمال الله ـ وما يجب له من الأسماء والصفات؛ لأن كمال الذات بأسمائها الحسنى وصفاتها العليا، ولا كمال لذات لا صفة لها ولا اسم.

وقد وصف الله نفسه بأكمل الأوصاف كما يليق بجلاله وعظمته في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ليعرِّف خلقه بنفسه وصفاته كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والخلق والحب والبغض والرضا والغضب والرحمة والانتقام، والاستواء والعلو، وغير ذلك من الصفات.

وعقيدة أهل السنة والجماعة الذين هم أعلم الأمة وأعرفها بالله عز وجل أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتا من غير تمثيل، ولا تكييف، ومن غير تحريف ولا تعطيل على حد قوله تعالى: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ) [الشورى:11].

وينفون عنه عز وجل ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم مع اعتقاد ثبوت كمال الضد له ـ كما في قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) [النحل:60]

ويعتقدون أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن له ـ ذاتا حقيقية لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك له صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين

ويثبتون معاني الصفات، ويفوضون علم كيفيتها إلى الله تعالى.

والقاعدة التي ينطلقون منها في ذلك تتمثل في القاعدة الذهبية التي قالها الإمام مالك : لما سئل عن الاستواء، فقال:" الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[1]. ويقال في بقية الصفات ما يقال في الاستواء.

ولما كان أشرف العلوم وأعلاها العلم بأسماء الله وصفاته؛ لأن معرفة الرب عز وجل هي أشرف معلوم، وأجل مقصود ومع أن توحيد الله ومعرفته مركوز في الفطر (ۆ ۈ ۇ ۇ [illegible] ۋ [illegible] ۋ [illegible] [illegible] [illegible] ې ې ۉ ۉ ۅ [illegible] [illegible] [illegible]) [الروم: ٣٠]

وفي الحديث " ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .." الحديث [2] إلا أنه لما كانت الفطرة قد يعتريها ما يغيرها كما في الحديث المتقدم " فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب ليوقظوا هذه الفطرة حتى يعرف الناس ربهم عز وجل معرفة تنير لهم الطريق التي توصلهم إلى عبادته وطلب رضاه .

وإذا كانت معرفة أسماء الله وصفاته ضرورة من ضرورات التوحيد الذي من أجله خلق الخلق وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب كان تدبر هذه الأسماء والصفات وإعطاؤها الحق اللائق وفهمها على مراد الله فيها من أهم الأمور وأجلها وذلك لما في هذا الأمر من الفوائد العظيمة ، والثمار النافعة ولذا نجد أن علماء أهل السنة والجماعة قد اهتموا بكل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته

---

1 (?) نقل ذلك جمع من السلف منهم ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، (ص/132).

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز – باب إذ أسلم الصبي فمات، ومسلم في كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة .

فدرسوها وشرحوها وبينوا فوائدها وثمراتها وألفوا المؤلفات في بيانها والرد على من أنكرها أو أنكر بعضها.

ولعل مما يبين أهمية معرفة هذا النوع من التوحيد وبيان شرفه وضرورة دراسته أمور، منها:-

1) أن رضا الله عز وجل والوصول إلى جنته والتنعم بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة هو أجل وأشرف غايات المؤمنين إذ هو أعلى نعيم حيث سماه الله تعالى مزيداً إذ يقول سبحانه بعد أن ذكر نعيم أهل الجنة ( ) [ق: 3] وهذا النعيم لا يحصل إلا بالإيمان بالله عز وجل والعمل بطاعته والبعد عن معصيته وذلك لا يتحقق إلا بالعلم، وأشرف العلوم وأجلها العلم بالله وبأسمائه وصفاته .
2) أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم وأول الواجبات وأساس الإيمان, وتحقيق العبوديه لله عز وجل يكون بقدر تحقيق هذا العلم كما قال تعالى: ( )[محمد: ١٩] وأساس العلم بالله وحقيقته معرفة أسمائه وصفاته فإن العلم قبل القول والعمل.
3) أن معرفه الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له وهذا هو عين سعادة المكلف، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، وكلما قويت معرفة العبد بذلك إزداد إيمانه، وقوي يقينه،، وانشرح صدره؛ ولذلك نجد أن أعظم الخلق انشراحا الرسل لقوة معرفتهم بالله عز وجل ثم أتباعهم بحسب قوة هذه المعرفة لديهم[1].
4) أن الله تعالى أمرنا بتدبر آيات القرآن حيث يقول سبحانه (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ) [ص: ٢٩]

ومن قرأ كتاب الله، وتدبره حق تدبره تبين له من معاني أسماء الله،وصفاته: من عظمته وحكمته، وعدله، ورحمته، وأنه موصوف بكل كمال منزه عن كل عيب،

---

1 (?) لبيان ذلك ينظر ما نقله ابن القيم في مفتاح دار السعادة، (2/127) وما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي في التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، (ص/41)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (1/24).

وأن حاجة العباد إليه لا يعدلها حاجة؛ وذلك من أشرف ما صرفت فيه الأوقات.[1]

وقد كان لأئمة المالكية جهود مباركة في بيان أهمية توحيد الأسماء والصفات، فمن ذلك:

1- **ما ذكره إمام المالكية في زمانه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين**[2]: حيث يقول:

مبينا أهمية توحيد الأسماء والصفات وموضحا الطريق في إثبات ذلك :" واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما ، والعجز عما لم يدع إيماناً وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائة إلى حيث انتهى في كتابه ، وعلى لسان نبيه ، وقد قال وهو أصدق القائلين: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) [القصص: ٨٨]وقال: (□ □ □ □) [آل عمران: ٢٨] وقوله:(□ □ □ □ □ □) [الحِجر:29]، وقال:(□ □ □) [الطور:48]، وقال: **(** ﮃ ﮄ ﮅ **)** [طه: ٣٩]، وقال: (□ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □) [المائدة: ٦٤]، وقال : (□ □ □ □ □ □ □ □) [الزمر: ٦٧]وقال: (□ □ □ □ ﯾ) [طه: ٤٦] وقال : **(** ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ **)** [النساء:١٦٤] وقال: (□ ﮪ ﮫ ﮬ) [النور: ٣٥] وقـال: (ﯓ □ □ □ □ □ □ ﮬ ﮭ ﮮ □ □ □) [البقرة: ٢٥٥]. وقال: (□ □ □ □ □) [الحديد: ٣].

ومثل هذا في القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك كما وصف نفسه ويسمع ويرى ويتكلم وهو الأول ولا شيء قبله والأخر الباقي إلى غير نهاية لا شيء

---

1 (?) انظر: الفوائد، (ص/82)، وكتاب" ولله الأسماء الحسنى" للشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل، (ص/27)، وما قبلها.

2 (?) الإمام القدوة الزاهد ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي الإلبيري، شيخ قرطبة تفنن واستبحر من العلم، وصنف في الزهد والرقائق وقال الشعر الرائق وكان من حملة الحجة توفي سنه 299هـ من مؤلفاته كتاب منتخب الأحكام ، وكتاب أدب الاسلام ، وكتاب أصول السنه ، انظر ترجمته في ترتيب المدارك (2/259)، و السير (17/188)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (2/1119) .

بعده , الظاهر العالي فوق كل شيء مما خلق والباطن بطن علمه بخلقه تعالى (ى ى) [الحديد: ٣] (حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) .

ثم ساق بعض الأحاديث والآثار مستدلاً بها على صفات الله عز وجل مما يوضح أهمية معرفة هذه الأسماء والصفات إذ أن كثرة النصوص الدالة على اتصاف الله بهذه الصفات دليل على أهميتها ووجوب معرفتها إذهي أساس التوحيد الذي خلق الخلق من أجله . ثم قال يرحمه الله بعد ذلك ": فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ، ووصفه : نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لم تره العيون فتحده كيف هو كينونة ، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به "[1].

2- **ما ذكره حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر** [2]: من إجماع أهل السنة على إثبات صفات الله والإيمان بها على الحقيقة ومخالفتهم لأهل البدع مما بين اهتمامه رحمه الله بتوحيد الأسماء والصفات التي يقوم عليها ساق شجرة الإيمان بالله تعالى.

حيث يقول رحمه الله :" أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم

1 (?) أصول السنه – تحقيق عبد الله بن محمد البخاري ص 60- 176 .

2 (?) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر من كبار حفاظ الحديث مؤرخ أديب بحاثة يقال له حافظ المغرب ولد بقرطبة ورحل رحلات طويلة غربي الأندلسي وشرقيها وولي قضاء لشبونة وشنترين توفي بشاطبه سنه 463هـ من مصنفاته جامع بيان العلم وفضله ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

انظر ترجمته الأعلام (8/240) والسير (18/153) الصلة : ص 521 ، ترتيب المدارك (2/352) .

ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقربها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله الناطقون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله " [1] .

3- **قول الإمام بن العربي رحمه الله تعالى** حيث يقول رحمه الله مبينا مكانة العلم بأسماء الله وأهميته وأنه أشرف العلوم لأن شرف العلم بشرف معلومه :" شرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات فالعلم بأسمائه أشرف المعلومات "[2]

4- **قول الإمام القصري** [3] **- رحمه الله –** حيث بين رحمه الله في كتابه شعب الإيمان أن الإيمان بالأسماء والصفات والتصديق بها شعبة من أهم شعب الإيمان وأنه من لم يؤمن بأسماء الله وصفاته فقد كذب بالقرآن والسنة وخالف إجماع أهل السنة والجماعة وخالف العقل قال رحمه الله :" الشعبه الثانية والثلاثون . الإيمان بالأسماء والصفات :" .... وهذا الباب إنما هو في الأسماء والصفات فهي شعبة ثانية من الإيمان لابد من التصديق بها ومن لم يصدق بالصفات فقد كذب بالقرآن والسنة وإجماع أهل السنة وكذب العقل . ثم قال بعد أن ساق جملة من الآيات والأحاديث مستدلاً بها على أهمية توحيد الأسماء والصفات "... وأهل السنة والحديث قد نقلوا إلينا أخبار الصفات ونطقوا بالصفات فلو كذبناهم فيما نقلوا من ذلك ونطقوا به وجب تكذيبهم في كل ما نقلوا من الشريعه وكان ذلك هدماً للإسلام ، فنعوذ بالله من الضلال " [4]

فجعل رحمه الله إنكار شيء من الصفات أو تكذيب ما صح نقله تكذيب بالشريعة وهذا من أعظم الأدلة على مكانة هذا التوحيد وعلو منزلته فدلت هذه النقول عن

---

1 (?) التمهيد (6/145) .

2 (?) أحكام القرآن (2/993) .

3 (?) عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل أبو محمد الأوسي الأنصاري الأندلسي القرطبي ، العلامة الإمام العابد القصري المالكي من مصنفاته ، شعب الإيمان ، شرح أسماء الله الحسنى . ت في سنه 608 هـ انظر ترجمته في السير (21/420) الأعلام (3/276) ونيل الابتهاج (1/307) .

4 (?) شعب الإيمان ص275-276 .

أئمة المالكية أنهم كغيرهم من إخوانهم من أهل السنة والجماعة يرون أهمية توحيد الأسماء والصفات وأن معرفته من أهم أمور الشريعة.

المبحث الثالث: التعريف بالمذهب المالكي، وفيه مسألتان:

الأولى: التعريف بالإمام مالك رحمه الله.

الثانية: المذهب المالكي ومناطق انتشاره.

المسألة الأولى : ترجمة الإمام مالك

1-اسمه ونسبه ومولده.

هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن ختيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري ، حليف بني تيم من قريش ولد رحمه الله عام 92هـ على أشهر الأقوال، وأمه: العالية بنت شريك الأزدية ، نشأ في بيت علم وصلاح ، فأبوه أنس كان عالماً فقيهاً ، وعماه ربيع ونافع كانا عالمين محدثين ، وجده مالك كان من كبار التابعين وجلة علمائهم وفقهائهم "[1]

2-صفاته وخلقه:

عقد القاضي عياض في كتابه المدارك بابا لذكر صفاته وخلقه فأطال الوصف وملخص ذلك أنه كان أبيض يميل إلى الشقرة ، طويل القامة ، عظيم الهامة ، أبيض الرأس واللحية أصلع أشم ، يلبس الثياب البيض امتثالاً للسنة "[2]

وكان من أعظم الخلق مروءة وأكثرهم سمتاً وكان إذا جلس جلسة لا ينحل منها حتى يقوم , كثير الصمت ، قليل الكلام ، متحفظا للسانه ذاهبة وتقوى "[3].

3-طلبه للعلم:

طلب الإمام مالك العلم منذ نعومة أظفاره وأخذ عن جمع من أهل العلم في زمانه، ونال منزلة عالية في العلم. يقول الإمام الذهبي[4] – رحمه الله -:" وطلب

---

1 (?) انظر ترجمته في ترتيب المدراك (1/46) والانتقاء ص 40، والسير (1/48) .

2 (?) المدراك، (1/51) .

3 (?) المدراك (1/51-52) وانظر الإمام مالك مفسراً تأليف حميد لحمر ، ص 1، 2 .

4 (?) العلامة المحدث محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني أتقن صنعة الجرح والتعديل وتاريخ الرجال وكان متبعا لمنهج السلف طاف كثيراً من البلدان كف بصره سنه 741هـ تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها دول الإسلام، سير أعلام النبلاء ، والعبر في خبر من عبر ، تهذيب الكمال. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (2/163)، ونكت الهميان (241-242)، وفوات الوفيات (3/315).

مالك العلم ابن بضع عشرة سنة وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة وحدث عنه جماعة وهو صبي شاب طري وقصده طلبته من الأفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور[1] وما بعد ذلك وازدحموا عليه في خلافة الرشيد [2] ، وإلى أن مات رحمه الله " [3]
ويتحدث هو عن نفسه فيقول :"قلت لأمي أذهب فأطلب العلم ؟ فقالت : تعال فالبس ثياب العلم ، فألبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي ، وعممتني فوقها ، ثم قالت : اذهب فاكتب الآن.
وقال: كانت أمي تعممني وتقول اذهب إلى ربيعه[4] فتعلم من أدبه قبل علمه[5]

1 (?) الخليفة ، أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور كان فحل بني العباس ذا هيبة وشجاعة ورأيًا وحزماً ودهاء، وجبروتاً توفي في ذي الحجة سنة 158هـ انظر ترجمته في السير (7/83) تاريخ الإسلام (21416) ، تاريخ الخلفاء ص259/ 271 .

2 (?) الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر الهاشمي العباسي استخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي سنة سبعين ومائه كان من أنبل الخلفاء وأحسن الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة، وله نظر جيد في الأدب والفقه مات سنة (193 هـ) انظر ترجمته في السير (9/286) وتاريخ الخلفاء، (ص/283-284).

3 (?) السير (8/55) .

4 (?) ربيعة بن فروخ التميمي بالولاء المدني أبو عثمان إمام حافظ فقيه مجتهد بصير بالرأي فلقب ربيعه الرأي " قال عنه إبن الماجشون : ما رأيت أحد أحفظ لسنة من ربيعة وكان صاحب الفتوى بالمدنية وبه تفقه الإمام مالك ت سنة (136 هـ) انظر ترجمته في السير (6/89)، تذكرة الحفاظ (1/148) وتهذيب التهذيب (3/258) .

5 (?) المدارك (1/54) .

ويقول متحدثا عن ملازمته لنافع[1]:" كنت أتي نافعاً مولى ابن عمر ومعي غلام لي وينـزل لي من درجة له فيقعدني معه فيحدثني " وقال :" كنت أتي نافعاً نصف النهار وما تظلني الشجر من الشمس إلى خروجه ، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده، ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له : كيف قال ابن عمر في كذا وكذا ؟ فيجيبني، ثم أجلس عنه وكان فيه حدة "

ويقول واصفا ملازمته لابن هرمز [2] :" كنت أتي ابن هرمز بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل " [3]

وقد بلغ من حرصه على العلم أنه كان يقدم طلبه على مناسبات الفرح يقول- رحمه الله: شهدت العيد فقلت هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب [4] فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه فسمعته يقول " لجاريته : انظري من على الباب ؟ فنظرت فسمعتها تقول : مولاك الأشقر مالك . قال أدخليه ، فدخلت ، فقال ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك ؟ قلت : لا قال هل أكلت شيئا ؟ قلت : لا ، قال : فاطعم ، قلت :" لا حاجه لي فيه . قال : فما تريد ؟ قلت : تحدثني . فحدثني سبعة عشر حديثا ، ثم

---

1 (?) نافع أبو عبد الله المدني مولى بن عمر كان من أئمة التابعين بالمدينة كثير الرواية للحديث ثقة لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه عن ابن عمر هو " ديلمي الأصل مجهول النسب أصابه ابن عمر في بعض مغازيه ت سنة (117) انظر ترجمته في السير (5/95) والتهذيب (10/412) وتاريخ الإسلام (5/10).

2 (?) فقيه المدينه أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم أحد الأعلام وقيل بل اسمه يزيد بن عبد الله بن هرمز عداده في التابعين كان يتعبد ويتزهد مات سنة (148هـ) انظر ترجمته في السير (6/379) مشاهير علماء الأمصار ص 166 .

3 (?) ترتيب المدارك (1/50) .

4 (?) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الفقيه الحافظ المدني متفق على جلالته وإتقانه توفي سنة (125) هـ انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (5/266) والسير (5/326) .

قال : وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها ؟ قلت : إن شئت رددتها عليك . فرددتها عليه ، وفي رواية قال : لي هات فأخرجت الواحي فحدثني بأربعين حديثاً . فقلت : زدني . قال حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ . قلت قد رويتها ، فجبذ الألواح من يدي ، ثم قال : حدث فحدثته بها فردها علي، وقال : قم فأنت من أوعية العلم ، أو قال : إنك لنعم المستودع للعلم " [1] .

وقد وهب الله مالكا حفظاً وذاكرة قويه . ذكر القاضي عياض في مداركه أنه قال : قدم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعه فحدثنا نيفاً وأربعين حديثا ، ثم أتيناه من الغد فقال : انظروا كتاباً أحدثكم منه أرأيتم ما حدثتكم أمس في أيديكم شيء منه ؟ فقال له ربيعه : ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس فقال :ومن هو ؟ قال: ابن أبى عامر، فقال : هات، فحدثته بأربعين حديثاً منها، فقال الزهري: ما كنت أرى بقي من يحفظ هذا غيري"[2]

4-منزلته وثناء العلماء عليه .

بلغ الإمام مالك من العلم منـزلة اعترف له بها أساطين أهل العلم ممن عاصره، وممن جاء بعده

- قال سفيان بن عيينه[3]: بعد أن روى حديث أبي هــريرة س أن رسول الله

- صلى الله عليه وسلم-قال:" يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة "أظنه مالك بن أنس"[4]

وقال سفيان يرحمه الله: "ما نحن عند مالك . إنما نتبع أثار مالك" وقال:"إن المدينة، أو

أو قال "ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد مالك"

وقال: " ومالك سيد أهل المدينة " وقال " مالك سيد المسلمين " وقال :" مالك إمام ، وقال: مالك عالم أهل

---

1 (?) ترتيب المدارك (1 / 65).

2 (?) المصدر السابق، (1/56).

3 (?) أبو محمد: سفيان بن عيينة بن ميمـون مـولى محمد بن مزاحم الإمام الأكبر حافظ العصر شيخ الإسلام محدث الحرم من مؤلفاتــه: الجــامع في الحــديث, كتــاب التفســير,انظر ترجمته في الســير (18/454)، ووفيــات الأعيــان (2/391-393).

4 (?) أخرجه الإمام أحمد (2/299) والترمذي في أبواب العلم باب ما جـاء في عـالم المدينـه. وابن حبـان والحـاكم (1/9) والـبيهقي (1/386) وقـال أحمد شـاكر في تحقيق المسـند (15/125-127) رقم (7967) إسناده صحيح .

الحجاز " وقال :" كان مالك سراجاً ، ومالك حجة في زمانه ، وقال: وقد بلغه وفاة مالك : " ما ترك مثله أو ما ترك على الأرض مثله . وقال لبعضهم
أتقرنني بمالك ؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير[1]

وابن اللبون إذا مابز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس[2]

ثم قال :" ومن مثل مالك : متبع لآثار من مضى ، مع عقل وأدب " وقال :" مالك إمام في الحديث " [3]

وقال الإمام الشافعي ::" إذا جاءك الأثر عن مالك فشد به يدك"وقال:"إذا ذكر
العلماء، فمالك النجم ، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته، ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك.

"وقال:"ما أحدا أمن علي من مالك ومنه أخذت العلم وإنما أنا غلام من غلمان مالك"وقال عبد الله بن المبارك [4] : : "لو قيل اختر للأمة إماماً اخترت مالكا"[5]

وقال الإمام أحمد :" مالك سيد من سادات أهل العلم وهو إمام في الحديث والفقه . ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى مع عقل وأدب" [6]

---

1 (?) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بـدر الكلـبي اليربوعي من تميم أشعر أهل عصره كان يكنى بـأبي حـزرة، وكان هجـاء، مـات سـنة 110 هــ انظر ترجمته في السـير (4/590)، والاعلام (2/119)

2 (?) ديوان جرير، (1/321).

3 (?) ترتيب المدارك (1/61-/62) .

4 (?) عبد الله بن المبارك بن واضح الامام، شيخ الإسلام ، عالم زمانه ، وأمير الأتقياء في وقته أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم ثم المروزي ، الحافظ ، الغازي ، أحد الأعلام ت سنة 181 انظر في ترجمته : السير (8/378)، الأعلام (4/115) وترتيب المدارك (1/169) .

5 (?) ترتيب المدارك (1/63) .

6 (?) المصدر السابق (1/63) .

- وقال يحيى بن معين [1]::" كان مالك من حجج الله على خلقه" [2]
- وقال الدارقطني[3] : "لا نعلم أحداً تقدم أو تأخر اجتمع له ما اجتمع لمالك [4]

وقال النسائي [5]:: "ما من أحد عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس ، ولا أحد أمن علي بالحديث منه "[6]

ولو أردت تتبع أقوال الأئمة في هذا الإمام العلَم لطال المقام، ولعل فيما أوردته ما يكفى لإظهار فضله وعلو منزلته .

1. وفاته.

توفي الامام مالك : في شهر ربيع الأول سنة 179هـ وعمره ست وثمانون سنه ، ودفن في البقيع [7].

---

1 (?) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء : أبو زكريا سيد الحفاظ من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله من مؤلفاته . التاريخ , العلل ، ومعرفة الرجال انظر في ترجمته الأعلام (8/172) وتذكرة الحفاظ (2/16) وتاريخ بغداد (14/177) .

2 (?) الانتقاء (65) .

3 (?) هو الإمام الحافظ المجود شيخ الإسلام ، علم الجهابذة أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي المقرئ المحدث كان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله توفي سنه 385هـ انظر ترجمته في السير (16/449) الأعلام (4/314)

4 (?) ترتيب المدارك (1/7)/ وطبقات الشافعية (2/310) .

5 (?) الإمام الحافظ الثبت ، شيخ الإسلام ، ناقد الحديث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي . صاحب السنن طلب العلم في صغره ت سنة 303من مؤلفاته السنن، والضعفاء ، انظر ترجمته: في (السير (14/125) ، الأعلام (1/171) .

6 (?) . الانتقاء ص 65-66

7 (?) انظر في ترجمته جماع العلم للشافعي ص 242 , تاريخ خليفة بن خياط (1/432) , (2/719) المعارف لابن قتيبة ص 498 – 499 الانتقاء ص 9-63 ترتيب المدارك (1/44-140) العبر للذهبي (1/272) السير (8/48) وغيرها.

المسألة الثانية: المذهب المالكي

نشأ الإمام مالك ابن أنس في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتلقى الرواية وأخذ العلم عن علمائها ومن يفد إليها من جميع البلاد ولم يخرج من المدينه إلا للحج ومع ذلك فقد وهبه الله علماً وعقلاً وفهما ، حتى فاق أقرانه فعرف بين جميع الناس : بعالم المدينه وإمام دار الهجرة ، وطار ذكره في الأفاق ، وقصده طلبة العلم من أصقاع المعمورة ، وكان من أعظم تلك الخصال التي أتصف بها عنايته بالحديث رواية واستنباطاً ثم رزق تلاميذاً اعتنوا بسماعاتهم منه ودونوها من أمثال : عبد الله بن وهب [1] الذي لم يكن الإمام مالك يتكلم بشيء إلا كتبه حتى يقال إنه ألف في سماعه من مالك ثلاثين كتاباً " [2]

ثم إن هؤلاء التلاميذ نشروا هذا العلم الذي أخذوه من مالك في بلادهم وأماكن إقامتهم ويعلمون كل من مروا عليه في طريق عودتهم إلى ديارهم مما هيأ لمذهب مالك الانتشار.

يقول القاضي عياض [3] : : غلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر، وما والاها من بلاد أفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً وضعف بها بعد

---

1 (?) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم الإمام شيخ الإسلام ، أبو محمد الفهري مولاهم طلب العلم وله سبع عشرة سنة وكان قد قسم وقته أثلاثاً : ثلثا يعلم الناس بمصر، وثلثاً في الرباط، وثلثاً في الحج. وذكر أنه حج ستا وثلاثين حجة، ت سنة 139 انظر ترجمته في: السير (9/223-234) وترتيب المدارك (1/243).

2 (?) انظر ترتيب المدارك (1/244) وما بعدها. وانظر: جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العباد، (ص/ 19).

3 (?) هو: القاضي عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي البستي ، أبو الفضل ، عالم المغرب إمام اهل الحديث في وقته كان عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأنسابهم وأيامهم من مؤلفاته : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وترتيب المدارك ، الغنية ، وغيرها ت سنه 544هـ .انظر ترجمته في الديباج ص270 الأعلام (5/99)

أربعمائة سنة وظهر بنيسابور وكان بها وبغيرها أئمة ومدرسون "[1]

وفيما يلي تذكير بالأقاليم التي انتشر فيها مع ذكر بعض الأعلام في كل إقليم:

1- الحجاز

نشأ المذهب المالكي في الحجاز وتفجر منها ولم ينازعه في بداية ظهوره أي مذهب أخر فكانت المدينة كلها وما جاورها على رأي الإمام مالك وخرج منها إلى جهات الحجاز واليمن واستمر هذا المذهب في الحجاز حتى أواخر القرن الثامن قال بن فرحون: "فغلب مذهب مالك على أهل الحجاز" [2]

ومن أبرز أعلام المذهب في الحجاز: محمد بن مسلمه [3] وعبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون [4] ومطرف بن عبد الله بن مطرف الهلالي [5] وغيرهم.

---

1 (?) ترتيب المدارك (1/31) .

2 (?) الديباج (1/61) .

3 (?) هو: محمد بن مسلمه بن محمد بن هشام أبو هشام المخزومي المدني نزيل دمشق الفقيه النسابه قال عنه أبو حاتم كان أحد فقهاء المدينة من أصحاب مالك وكان من أفقههم وكان ثقة، توفي 216هـ انظر ترجمته في: المدارك (1/206)، الانتقاء (ص/102)، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (3/1200).

4 (?) العلامة الفقيه مفتي المدينة ، أبو مروان ، عبد الملك بن الامام عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون التميمي مولاهم المدني المالكي تلميذ مالك كان فقيها فصيحا دارت عليه الفتيا في زمانه وكان ضريراً ت في سنه 213 انظر ترجمته في السير (10/309)وترتيب المدارك (1/207) وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (2/790) .

5 (?) هو: مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار أبو مصعب ويقال أبو عبد الله اليساري الهلالي مولى ميمونة أم المؤمنين الفقيه الأصم ابن أخت الإمام مالك روى عن مالك الموطأ وغيره مات سنه (220) انظر ترجمته في ترتيب المدارك (1/206) جمهره تراجم الفقهاء المالكية (3/1254) والانتقاء ص105 .

2- مصر

تعتبر مصر المحضن الأول للمذهب المالكي بعد موطنه الأصلي المدينة النبوية وقد دخلها المذهب المالكي على يد عبد الرحمن بن القاسم من تلامذة مالك المصريين الذين كانت لهم حلقاتهم العلمية بمصر حتى وفد إليها الإمام الشافعي فاقتسم المذهبان الشهرة والذيوع؛لكن نجم المالكية بدأ يأفل بغلبة الفاطميين[1] عليها ثم عاد بقوة في عهد الدوله الأيوبية، ومازال له وجود في مصر إلى اليوم خصوصاً في الصعيد.

[1](?) هم: بنو عبيد: العبيديون نسبة إلى عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان البوني من الأهـواز -على الصحيح- وهو مجوسي ومن أشهر الدعاة السريين الباطنيين الذين عرفهم التاريخ ، ومن دعــوته هذه صيغت دعوة القرامطة، بدأ حكم العبيديين في المغرب عام 296هـ ثم ملكوا مصر عام 358 ، ثم فتحوا بلاد الشام فأصبحوا أكبر قوة في العالم الإسلامي تنــشر البدع والشركيات، من مخلفاتهم: الاحتفال بالمولد النبوي، ادّعوا نسبتهم إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وقد صنف كثير من العلماء السالفين في بيان كذب أولئك العبيديين وبيان نحلتهم الكافرة الفاجـرة، وأنهم كانوا يظهرون الرفـض ويبطنون الكفر المحض. وممن كتب في ذلك الإمام أبو بكر الباقـلاني في كتاب نفيس سماه كشف الأسرار وهتك الأستار، وابن الجوزي وغيرهم.
انظر في ذلك البداية والنهاية للعماد ابن كثير في حوادث سنة 402هـ (11 / 249).

ومن أبرز علماء المذهب في مصر: عبد الرحمن بن القاسم العتقي وأشهب[1]بن عبد العزيز التيمي وعبد الله بن عبد الحكم بن ليث [2]

3- تونس والقيروان

دخل المذهب المالكي تونس على يد علي بن زياد التونسي [3] صاحب الرواية المشهورة للموطأ المؤسس الحقيقي للمذهب المالكي في تونس ثم ما لبث أن انتشر في تونس والقيروان على يد أعلام كبار من الفقهاء ومن أبرز أعلام المذهب : أبو الحسن علي بن زياد التونسي وسحنون [4] وغيرهما.

4- الأندلس

1 (?) أشهب بن عبد العزيز بن داوود بن إبراهيم الإمام العلامة مفتي مصر أبو عبد الله القيسي المصري الفقية يقال اسمه مسكين وأشهب لقب له ت سنة (204) انظر ترجمته في السير (9/500) والأعلام (1/333)، وترتيب المدارك (1/259).

2 (?) عبد الله بن عبد الحكم بن ليث الإمام الفقية مفتي الديار المصرية ابومحمد المصري المالكي صاحب مالك ويقال أنه من موالي عثمان بن عفان ت سنة (214) هـ انظر ترجمته في السير (10/220) الأعلام (4/95) ترتيب المدارك (1/304)

3 (?) علي بن زياد العبسي، وقيل: إن أصله من العجم أبو الحسن ثقة مأمون خير متعبد بارع في الفقه ممن يخشى الله عز وجل مع علوه في الفقه لم يكن بعصره بأفريقية مثله ت (183) انظر ترجمته في ترتيب المدارك (1/185) وجمهره تراجم فقهاء المالكية (2/850) والأعلام (4/289) وشجرة النور الزكية (1/91).

4 (?) الإمام العلامة فقيه المغرب أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي قاضي القيروان صاحب المدونة الملقب بسحنون ت سنه (240 هـ) انظر ترجمته في السير (12/63-69) الإعلام (4/5) ترتيب المدارك (1/339).

حل المذهب المالكي في الأندلس في زمن متقدم بسبب رحلة بعض أبنائها إلى الحجاز والسماع من مالك ثم نقل مذهبه إلى الأندلس كأمثال شبطون [5]

---

5 (?) الفقيه الإمام الأندلسي أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي الأندلسي صاحب مالك كان إماماً عالماً ناسكاً مهيبا كبير الشأن ت سنة (193) انظر ترجمته في السير (9/311-312) ترتيب المدارك (1/200)

وقرعوس بن العباس [1] وأسد بن الفرات ، ثم انتشر بعد ذلك بسبب تبني الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية له وجمع الناس عليه وإلزامهم به وجعل الفتيا والقضاء عليه .

ومن أبرز أعلام المذهب في الأندلس: ابن عبد البر، وأبو الوليد الباجي[2] وغيرهما.

5- العراق.

بدأ الاهتمام بالمذهب المالكي في العراق في حياة الإمام مالك على يد بعض تلامذته من أمثال عبد الله القعنبي[3] وابن المعذل[4] ثم قويت شوكة المذهب في العراق بدخول أسرة آل حماد إلى العراق. ثم ساعد على انتشاره قوة العلاقة بين بني حماد والخليفة العباسي المأمون[5].

---

1 (?) قرعوس بن العباس بن قرعوس بن حميد الثقفي من أهل قرطبة بكني ابا الفضل سمع من مالك والثوري وابن جريج وكان رجلا متديناً ورعاً فاضلاً ت سنة (220 هـ) انظر ترجمته في ترتيب المدارك (1/285)، الديباج المذهب (1/124-125).

2 (?) الإمام الحافظ ذو الفنون القاضي أبو الوليد سـليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسـي القرطـبي البـاجي المــالكي، قــال القاضــي عيــاض:"ولم يكن بالأنــدلس أتقن للمــذهب منــه، من مؤلفاتــه: إحكــام الفصــول في أحكــام الأصول، والمنتقى في شرح الموطأ، وغيرهما، (ت:474هــ)، ترجمته في ترتيب المدارك، (2/158)، والسير، (18/525).، وجمهرة تراجم الفقهاء المالمكية، (1/556).

3 (?) هو: عبد الله بن مسلمه بن قعب الإمام الثبت القدوة شيخ الإسلام , أبو عبد الرحمن الحارثي القعنبي المدني نزيل البصرة ثم مكة كان مجاب الدعوة ت سنة 121 هـ انظر ترجمته في: ترتيب المدارك (1/231)، السير (10/157) والإعلام (4/137) .

4 (?) أحمد بن المعذل بن غيلان بن حكم شيخ المالكية أبو العباس العبدي البصري انظر السير (11/519) وترتيب المدارك (1/319) .

5 (?) الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم وبالغ ودعا إلى القول بخلق القرآن – نسأل الله السلامة مات سنة

ومن أبرز أعلام المذهب المالكي في العراق أبو بكر محمد بن عبد الله الأبهري[1] وابن القصار [2] والقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي وغيرهم .

6- فاس والمغرب الأقصى.

تأخر دخول المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى نسبياً عن دخوله الأندلس وتونس حيث لم يكن لأهل المغرب مذهب معين : يتبعونه حتى جاءت دولة الأدارسة فألزم الناس بالمذهب المالكي فجعل القضاء بالمذهب المالكي.

ومن أبرز أعلام المذهب في المغرب الأقصى: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي.

7- اليمن وشرق الجزيرة العربية.

دخل المذهب المالكي على يد أبي قرة القاضي[3] ومحمد بن صدقه الفدكي[4]كما كان له وجود في الأحساء حيث تبنى أمراء الأحساء من آل جبر [5] المذهب المالكي واهتموا به ونشروه ولا يزال له وجود في

218 هـ السير (10/272) المعارف لابن قتيبة (ص/387), تاريخ الخلفاء (ص/306-333).

1 (?) محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح أبو بكر التميمي الأبهري الإمام الفقيه المقرئ المحدث، انتشر عنه مذهب مالك ببغداد، (ت:375هـ)، انظر ترجمته في ترتيب المدارك، (2/124)، والسير، (16/332)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (3/1124).

2 (?) شيخ المالكية القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي بن القصار له كتاب في مسائل الخلاف، (ت: 397هـ)، انظر ترجمته في ترتيب المدارك، (2/214)، والسير، (17/107)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (2/856).

3 (?) هو موسى بن قرة بن طارق السكسكي ، أبو قرة روى عن مالك الموطأ و مالا يحصى حديثا ، ومسائل الموطأ وكان قاضي زبيد . انظر ترجمته في ترتيب المدارك (1/231) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (3/282) .

4 (?) هو محمد بن صدقه الفدكي أبو عبد الله كان يسكن ناحية المدينه سمع من مالك معدود في رواة الموطأ انظر ترجمته في ترتيب المدارك (1/298) جمهره تراجم المالكية (2/1094) .

الأحساء والإمارات العربية وقطر والكويت والبحرين ولا يزال هناك بعض العلماء على المذهب المالكي كأمثال آل مبارك [1] في الإحساء وغيرهم[2] .

8- خراسان وما وراء النهر .

دخل المذهب المالكي إلى هذه البلاد وانتشر فيها على يد ابن المبارك ويحيى بن يحي التميمي [3] وغيرهما .

وهكذا نجد أن المذهب المالكي قد انتشر في أقطار كثيرة من العالم الإسلامي ولا يزال موجوداً شأنه شأن المذاهب الفقهية الأخرى.

---

5 (?) حكموا الأحساء في القرن التاسع والعاشر من حكامهم أجود بن زامل الجبيري وصالح بن يوسف بن الحسين . انظر تسهيل المسالك (1/175) .

1 (?) نسبة إلى مبارك بن علي بن قاسم بن حمد بن سلطان من بني عمرو بن تميم لا تزال سلالتهم معروفة بهذا الاسم في الأحساء وهم مالكية في الفروع انظر التسهيل (1/46) .

2 (?) التسهيل، (1/181-190).

3 (?) هو يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي مولاهم شيخ الاسلام وعالم خراسان أبو زكريا لقي صغار التابعين ولازم مالك وكان ثقة مأموناً مرضياً توفي سنة (266هـ) انظر ترجمته في (السير 10/512) وترتيب المدارك (1/238)، جمهرة فقهاء المالكية (3/1268).

الفصل الأول:
الجهود العلمية والعملية، لعلماء المالكية في بيان توحيد الأسماء والصفات وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : مصنفات علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول : المصنفات المسندة.
  - المطلب الثاني : المصنفات غير المسندة.
- المبحث الثاني : جهود علماء المالكية العملية وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول : التحديث والدروس في الحلق.
  - المطلب الثاني : المناظرات.
  - المطلب الثالث : الردود على المخالفين.

المبحث الأول : مصنفات علماء المالكية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان:

تمهيد:

عاشت الأمة الإسلامية في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان رضي الله عنهم في عافية في أمور دينها وائتلاف في جماعتها وانتشار في رقعة بلادها ولم يكن أحد من الأمة يعارض الوحي بعقله بل كانوا على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق , حتى ظهرت طوائف من أهل البدع واشتد ظهورها في أواخر عهد التابعين ومع بداية القرن الثاني الهجري ظهرت بدعة الجهمية الذين أنكروا صفات الله عز وجل ومقدمهم في ذلك الجعد بن درهم [1] الذي أظهر القول بنفي الصفات ونفي كلام الله عز وجل فقتله خالد بن عبد الله القسري [2] بعد صلاة عيد الأضحى , ثم أخذ هذا المذهب الباطل عنه الجهم بن صفوان [3] ثم ازداد الأمر سوءاً لما عربت كتب اليونان وأدخلت على المسلمين

---

[1] (?) الجعد بن درهم من الموالي مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى فقتله خالد بن عبد الله القسري في يوم عيد الأضحى سنة 120 هـ. انظر ترجمته في السير (5/433) والأعلام (2/120) والكامل لابن الأثير (5/160) .

[2] (?) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أبو الهيثم أمير العراقين وأحد خطـــباء العرب وأجوادهم قتل الجعد ابن درهم ثم قتله يوسف بن عمر الثقفي بأمر الوليد بن يزيد، انظر ترجمته في السير (5/425) والأعلام (2/297) والكامل لابن الأثير (4/205) .

[3] (?) الجهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز من موالي بني راسب الجهمي الضال المبتدع قتله سلم بن سيار، انظر: ترجمته في السير (6/26) – الإعلام (2/141) والكامل لابن الأثير (5/342) سنة (128 هـ).

في عهد الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد بتزيين من بطانة السوء الذين استحوذوا على الخليفة وحسنوا له ذلك فدخل على المسلمين شرفي عقيدتهم لا زالوا يعانون من آثاره.

يقول شيخ الإسلام بن تيميه – رحمه الله –: "كانت البدع في القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة، وكانت الشريعة أعز وأظهر، وكان القيام بجهاد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم.

وفي دولة أبي العباس المأمون عُرِّب كثير من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين ... وكان من أثر ذلك استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال ونحوهم من المتفلسفة، وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلا وعدلا وإنما هو جهل وظلم إذ التسوية بين المؤمن والمنافق ؛ والمسلم والكافر أعظم الظلم وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل فتولد من ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه"[1].

وقد روى الشيخ نصر المقدسي[2] في كتابه "الحجة على تارك المحجة" حادثة تبين كيفية بداية الأخذ بتراث اليونان، فقد روى بسنده عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي قصة إخراج كتب اليونان إلى الإسلام، فذكر أن "سبب خروجها من أرض الروم إلى بلاد الإسلام يحيى بن خالد بن برمك، وذلك أن كتب اليونانية كانت ببلد الروم، وكان ملك الروم خائف على الروم إن نظروا في

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (4/21).

2 (?) نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي، الفقيه الشافعي، الإمام القدوة العلامة المحدث، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف، كان فقيهاً إماماً زاهداً عاملاً، توفي سنة 490هـ. انظر ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات (2/125)، طبقات الشافعية (5/351-353)، السير (19/136-143)، شذرات الذهب (3/395-396).

كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية، ويرجعوا إلى دين اليونانية، وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم.

فجمع الكتب في موضع، وبنى عليها بناء مطمساً بالحجر والجص حتى لا يوصل إليها.

فلما أفضت رياسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد، وكان زنديقاً، بلغه خبر الكتب التي في البناء ببلد الروم، فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا، ولا يلتمس منه حاجة؛ فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته وقال لهم: إن هذا الرجل خادم العربي قد أكثر عليّ من هداياه ولا يطلب مني حاجة، ولا أراه يلتمس حاجة، وأخاف أن تكون حاجته تشقّ عليّ، وقد شغل بالي. فلما جاءه رسول يحيى قال له: قل لصاحبك إن كانت له حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيى رده إليه وقال له: حاجتي الكتب التي تحت البناء، يرسلها إلي، أخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه. فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحاً، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان وقال لهم: قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي انه لا يخلو من حاجة، وقد أفصح بحاجته، وهي أخف الحوائج عليّ، وقد رأيت رأياً فاسمعوه، فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا، فقالوا: وما هو؟ قال: حاجته كتب اليونانية، يستخرج منها ما أحب ويردها. قالوا: فما رأيك؟ قال: قد علمت أنه ما بنى من كان قبلنا عليها إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرأوها كان سبباً لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم، وأنا أرى أن أبعث بها إليه وأسأله أن لا يردها، يبتلون بها ونسلم نحن من شرّها، فإني لا آمن أن يكون بعدي من يجترئ على إخراجها إلى الناس فيقعوا فيما خيف عليهم، فقالوا: نعم الرأي رأيت أيها الملك، فامضه. فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد، فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف"[1].

---

1 (?) انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، تأليف: الدكتور سليمان بن صالح الغصن، (1/51-

وهكذا دخل على أمة الإسلام الشر الذي منعه ملك الروم عن النصارى، فأفسد على الأمة ما كانت تنعم به من سلامة في دينها.

لكن الله قيض لهذه الفتنه من أئمة الدين وخلفاء الرسول في دينه أئمة أجلاء حفظوا للأمة عقيدتها ودافعوا عنها بشتى الوسائل فناظروا أهل البدع وصنفوا المصنفات في الدفاع عن العقيدة وتقريرها للأمة .

وكانت هذه الجهود وتلك المصنفات مبنية على الكتاب والسنة وفق فهم الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعين لهم بإحسان.

والمتتبع لجهود علماء أهل السنة يجد أنهم وقفوا في وجه جميع المبتدعة وقاوموا كل انحراف عن المنهج الحق فقد قاوموا التشيع والإعتزال والرفض والتكفير والإرجاء وغيرها كما قاوموا أصحاب علم الكلام الذين يقدمون العقل على الشرع فيحكمون العقل في النصوص الشرعية مما جعلهم ينفون صفات الله عز وجل أو يؤولونها.

ولقد كان لعلماء المالكية قصب السبق في هذا الجهاد المبارك فألفوا الرسائل وناظروا أهل البدع وردوا عليهم. وعند النظر في مؤلفات هؤلآء الأئمة نجد أن منها ما يكون على طريقة المحدثين وذلك بسرد الآثار بالسند إلى قائليها ومنها ما يكون بدون ذلك وسأستعرض هاتين الطريقتين خلال المطلبين الآتيين بإذن الله تعالى.

.(52

المطلب الأول: المصنفات المسندة.

سلك أصحاب هذه المصنفات من أئمة المالكية في تأليفهم لكتب العقيدة والرد على المخالفين مسلك المحدثين وذلك بسوق الأسانيد إلى أصحابها تحت عناوين مشتملة على المعنى المراد سواء أكان ذلك في بيان مجمل الاعتقاد أو في باب من أبوابه ومن أمثلة المصنفات التي ألفت على هذه الطريقة ما يلي:-

أولاً : موطأ الإمام مالك – رحمه الله تعالى :-

فالموطأ وإن كان مبوَّباً على الأبواب الفقهية إلا أنه اشتمل على بيان العقيدة عموماً والأسماء والصفات خصوصاً، وقد صرح -رحمه الله- أنه ألفه من أجل الرد على الجهمية حتى لا يضلوا الناس في باب توحيد الله عز وجل كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.

وطريقة الإمام رحمه الله في هذا الكتاب أنه يورد الأحاديث بأسانيدها مستدلاً بذلك على المعنى الذي يريد إثباته وقد يكتفي بذكر الآية التي تدل على المعنى المراد مثال ذلك :

ما خرجه-رحمه الله– في الموطأ عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-أنه قال " إذا أحب الله العبد قال لجبريل عليه السلام: إني قد أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله تبارك وتعالى قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله العبد. قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك"[(1)]

فقد أورد الإمام رحمه الله هذا الحديث مستدلاً به على إثبات المحبة لله تعالى وكانت هذه طريقة الأئمة قبل أن

---

[1](?) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (2/130) باب المتحابين في الله والبخاري في كتاب بـدئ الخلق –باب ذكر الملائكة , ومسلم في كتاب البر والصلة والآدابـ . باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده

يستفحل أمر الجهمية النفاة مما اضطر أهل السنة والجماعة إلى التفصيل عند التأليف في الرد عليهم.

والكتاب مطبوع متداول بين الأمة منذ عصر مؤلفه – رحمه الله – وقد تناوله العلماء بالدراسة والنظر والتحليل فتعددت شروحه وكثرت المصنفات حول رجاله واهتموا بأسانيده ورتبوه على المسانيد وعلى الأطراف وفتشوا عن غريب ألفاظه ومشكل معانيه وجمعوا بين رواياته المختلفة .

وقد نقل عن الإمام مالك أنه قال عن الموطأ : "جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس"[1] وعلى هذا يكون هذا الكتاب من أهم الكتب المسندة المؤلفة لتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين لهم في باب أسماء الله وصفاته .

ثانياً : مسند عبد الله بن وهب – رحمه الله – ت سنة 197 مخطوط[2] ولم أطلع عليه

ثالثاً : مسند أبو قرة موسى بن قرة الزبيدي – رحمه الله – لم أطلع عليه[3]

رابعاً : كتاب الرؤية ليحيي بن عمر الكناني – رحمه الله – ت (239 هـ) في الرد على الجهمية والمعتزلة[4]

---

1 (?) انظر تفسير غريب الموطأ لعبد الملك بن حبيب الأندلسي تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ص63 وقد ذكر المحقق ما يزيد على مائه وثلاثين شرحاً للموطأ وقال ...... لا أعرف كتاباً من كتب أهل العلم في الدراسات الشرعية وجد العناية التي وجدها كتاب الموطأ ماخلاً كتاب الجامــع الصحيح للإمام البخاري – رحمه الله –وانظر المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية للدكتور محمد المغراوي(ص/14).

2 (?) دفع إيهام التشبية عن احاديث الصفات للدكتور محمد بن عبد الله الشهري(ص/47).

3 (?) المصدر السابق ص47 .

خامساً : مسند بقي بن مخلد – رحمه الله – ت (276 هـ)[1]

سادساً : السنة لأبي عمرو الطلمنكي – رحمه الله – ت (429 هـ)[2]

وقد نقل المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال الإمام مالك وأئمة أصحابه والتابعين وتابعيهم ومما جاء في هذا الكتاب قوله – رحمه الله " أجمع أهل السنة على أنه تعالى إستوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز , ثم ساق بسنده عن مالك قوله:"الله في السماء وعلمه في كل مكان"ومما جاء فيه أيضا قوله" واجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه"[3]

سابعاً : أصول السنة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المشهور بابن أبي زمنين – رحمه الله – ت (399)

هذه الرسالة ألفها لبيان مذهب أهل السنة والجماعة وذلك بناء على رغبة بعض أصحابه الذين رغبوا في اتباع أهل السنة والجماعة يقول في مقدمة الرسالة "فإن بعض أهل الرغبة في إتباع السنة والجماعة سألني أن اكتب له أحاديث يشرف على مذاهب الأئمة في إتباع السنة والجماعة الذين يقتدى بهم وينتمى إلى رأيهم وما كانوا يعتقدونه ويقولون به في الإيمان بالقدر وعذاب

---

4 (?) انظر: جهود علماء القرن الثالث الهجري في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها لنسيم شحذه ياسين (ص/1254)

[1] (?) دفع إيهام التشبية (ص/48).

[2] (?) المصدر السابق، (ص/52).

[3] (?) وقد نقل عنه شيخ الإسلام بن تيميه في الفتاوى وابن القيم في مختصر الصواعق، (ص/ 357)

القبر , والحوض . والميزان , والصراط , وخلق الجنة والنار والطاعة والشفاعة والنظر إلى الله عز وجل يوم القيامة[1].

وقد ألف كتابه على طريقة المحدثين حيث يذكر الباب ثم يورد تحته الأحاديث والآثار بسندها إلى قائليها ثم يعقب ذلك ببيان وجه الاستدلال من الحديث أو الأثر

مثال ذلك قوله – رحمه الله – باب في الإيمان بالنـزول:" قال محمد : يعني نفسه: ومن قول أهل السنة والجماعة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدا"[2].

ثم قال : حدثني سعيد بن فحلون عن العكي عن ابن بكير قال: حدثنا مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخر , فيقول : من يدعوني فأستجيب له , ومن يسألني فأعطيه , ومن يستغفرني فأغفر له "[3]

ثم أورده من طريق آخر عن أبي سلمه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ثم قال وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال : كل من أدركت من المشايخ : مالك، وسفيان، وفضيل بن عياض، وعيسى وابن المبارك، ووكيع كانوا يقولون النزول حق.

وقال ابن وضاح :

---

1 (?) أصول السنة تحقيق عبد الله البخاري، (ص/34).

2 (?) المصدر السابق، (ص/110).

3 (?) أخرجه البخاري في الصحيح في أبواب التهجد – باب الدعاء والصلاة من آخر الليل, ومسلم في كتاب بالصلاة باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة منه.

وسألت يوسف بن عدي عن النزول فقال نعم أقربه ولا أحد حدا , وسألت عنه ابن معين فقال : نعم أقربه ولا أحد فيه حدا . ثم قال : قال محمد : - يعني نفسه – وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض , وهو أيضا بين في كتاب الله وفي غير حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

ثم أورد الآيات الدالة على علو الله عز وجل وذكر حديث الجارية مستدلاً به على علو الله عز وجل ثم قال : قال محمد " والحديث مثل هذا كثير جدا , فسبحان الله من علمه بما في الأرض كعلمه بما في السماء لا إله إلا هو العلي العظيم"[1]

وقد حقق الكتاب في رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية قسم العقيدة بإشراف الدكتور العلامة عبد المحسن العباد-حفظه الله- ولم أقف عليها[2].

ثامناً : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ أبي عمر بن عبد البر :

هذا الكتاب أراد مؤلفه : أن يجمع فيه ما في موطأ مالك من الأسانيد والآثار وقد رتبه على أسماء شيوخ مالك وقد تقدم أن الأمام مالك الف الموطأ للرد على الجهمية والتحذير من بدعتهم وهذا الكتاب شرحاً للموطأ فيعتبر بذلك من كتب العقيدة يقول الحافظ : في مقدمة التمهيد " ... رأيت أن أجمع في كتابي هذا كل ما تضمنه موطأ

---

[1](?) انظر: رياض الجنة بتخريج أصول السنة لأبي أسامة البخاري (ص/ 110-114). وقد طبع الكتاب بتحقيق الشيخ عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، بعنوان: رياض الجنة بتخريج أصول السنة، وطبعته دار الغرباء الأثرية بالمدينة النبوية عام 1415هـ.

[2](?) المصدر السابق، (ص/8).

مالك بن أنس : في رواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي عنه من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مسنده ومقطوعة ومرسلة وكل ما يمكن إضافته إليه صلوات الله وسلامه عليه.

ورتبت ذلك مراتب قدمت فيها المتصل ثم ما جرى مجراه مما اختلف في اتصاله ثم المنقطع والمرسل وجعلته على حروف المعجم في أسماء شيوخ مالك – رحمه الله – ليكون أقرب للمتناول... "[1]

وقد مكث في تأليفه ثلاثين عاماً يقول : في بيان ذلك:

سمير فؤادي من ثلاثـــــين حجة وصـــاقل ذهني والمفرج عن همـي
بسطـــــــت لكم فيه كلام نبيكم لما في معانيه من الفقه والعــــلـم
وفيه من الآداب ما يهتــــــدي به إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم[2]

وقد اهتم العلماء بهذا الكتاب اهتماماً كبيراً : فمنهم من اختصره، ومنهم من نظمه شعراً ليسهل حفظه، ومنهم من شرحه، ومنهم من استدرك عليه، وقد طبع الكتاب بتحقيق وتعليق الأستاذ مصطفى بن أحمد العلوي مدير دار الحديثالحسنية، والأستاذ محمد عبد الكبير البكري، ملحق بوزارة الشؤون الإسلامية المغربية، بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، كما رتبه واختصر تخريج أحاديثه الدكتور محمد بن عبد الرحمن المغراوي، وسمى مختصره: "فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد بن عبد البر"، والكتاب مطبوع ومتداول بين طلبة العلم[3].

1 (?) التمهيد (1/8).
2 (?) المصدر السابق (8/245)
3 (?) انظر: التمهيد مقدمة المحققين (1/1) وعقيدة الأمام بن عبد البر في التوحيد والإيمان للشيخ سليمان الغصن، (ص/ 53).

المطلب الثاني : المصنفات غير المسندة.

تنوعت مؤلفات أئمة المالكية في بيان العقيدة والرد على المخالفين فكما ألف بعضهم على طريقة المحدثين فقد صنف آخرون مصنفات غير مسندة مختصرة ومطولة ما بين رسالة مستقلة وما بين فصول خاصة في مؤلفاتهم العامة وقد فقد الكثير من هذه المصنفات فلم يصل إلينا ولكن ذكرها المؤلفون في أبواب العقائد في مؤلفاتهم ولعل السبب وراء اختفاء هذه الرسائل والمؤلفات يعود إلى أمرين أحدهما : عدم اهتمام الخلف بحفظ تراث السلف مما أدى إلى فقدان تلك الدرر.

الثاني : مجانبة بعض الخلف من المالكية لسلفهم الصالح وذلك بسبب تأثر كثير منهم بالمذهب الأشعري.

وبالاطلاع على الرسائل والمصنفات من هذا النوع اتضح لي أنها تفوق المصنفات المسندة وذلك لرغبة مؤلفيها في حفظ طلبة العلم لها لاسيما وأن جلها يمثل عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته بألطف عبارة وأسهل طريق. ومن أهم الرسائل التي وقفت عليها ما يلي:

1) مقدمة الرسالة للعلامة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني:

هذه الرسالة تعتبر من أول مؤلفات ابن أبي زيد رحمه الله وقد بين سبب تأليفه لها وأنه تحقيق رغبة أبي محفوظ محرز بن خلف البكري التونسي[1] مؤدب الصبية ومعلمهم القرآن.

وقد اعتنى أهل السنة والجماعة بهذه الرسالة السلفية القيمة عبر القرون التي تلت عصر المؤلف وطبعت

---

1 (?) أبو محفوظ محرز بن خلف ابن أبي رزين التونسي، من نسل أبي بكر الصديق، المعروف بالعابد، خاتمة صلحاء علماء إفريقية. كان متقشفاً فاضلاً، زاهداً في الدنيا، مجانباً لأهلها، مستجاب الدعوة. توفي سنة 413هـ. انظر ترجمته في ترتيب المدارك (2/287)، وجمهرة تراجم علماء المالكية (2/977).

طبعات كثيرة في فاس , القاهرة , تونس , لندن , باريس , حيث ترجمت إلى اللغتين الانكليزية والفرنسية. وقد اهتم بها علماء المالكية شرقاً وغرباً وعكفوا عليها دراسة وتدريساً وتلقيناً وشرحاً ونظماً حتى يقال: إن شروحها بلغت ما يزيد على ثلاثين شرحاً بل روي عن رزوق :
قوله:"حتى لقد ذكر أنه منذ وجدت حتى الآن يخرج لها في كل سنة شرح وتبيان"[(1)]
وليس ذلك ببعيد حيث أنها جمعت خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في الجملة وإن حصل فيها بعض الهفوات التي لا يخلو منها أي عمل بشري.
وقد يوجد أكثر من شرح للرسالة من عالم واحد كما حصل لعلي بن محمد بن خلف المنوفي[(2)]حيث ذكر أن له عليها ستة شروح[(3)].
ولشدة حفاوة المالكية بالرسالة كتبت بالذهب وبيعت أول نسخة منها في حلقة شيخ المؤلف بالإجازة – شيخ المالكية ببغداد – أبي بكر بن عبد الله الأبهري المتوفى سنة (375 هـ) بيعت بعشرين دينارا ذهباً.
ولشدة الحفاوة بها أيضا أخذ التلاميذ لها عن الأشياخ بالإسناد والإجازة إلى مؤلفها وأسانيدها مثبتة في الأثبات والمشيخات والفهارس حتى عصرنا وكان أول شروحها لتلميذه أبي بكر محمد بن موهب المقبري المتوفى سنة 406هـ رحمه الله[(4)]

1 (?) انظر: مقدمة الرسالة بتحقيق الشيخ بكر أبو زيد : (ص/ 8).
2 (?) هو علي بن محمد بن خلف بن جبريل المنوفي المصري مولداً صنف تصانيف نافعه منها: عمدة السالك على مذهب مالك وتحفة المصلى . ت سنه 739 هـ انظر ترجمته في الابتهاج بتطريز الديباج (1/388) وكفاية المحتاج (1/366) .
3 (?) انظر: نيل الابتهاج (1/388).
4 (?) هو محمد بن موهب بن محمد ابو بكر القرطبي الحصار المحدث , المتكلم ت سنة (406) هـ

وقيل: إن أول شارح لها هو القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي المتوفي سنة (422 هـ) – رحمه الله – وقد بيعت أول نسخة من شرحه لها بمائة مثقال ذهباً[(1)]

وقد تناولها علماء أخرون بالنظم كما فعل أحمد بن مشرف المالكي المتوفى سنة (1285 هـ) وهذه الرسالة على وجازتها قد حوت أصول الاعتقاد على طريقة أهل السنة والجماعة وقد اشتملت على بيان حقيقة التوحيد والإيمان وأركانه السته، وتقرير توحيد الأسماء والصفات مثل الاستواء وإثباتها على حقيقتها وتفويض كيفيتها إذ لا يعلم كيفية صفة الله عز وجل إلا هو سبحانه .

وقد بين المؤلف : في مقدمة رسالته سبب تأليفها لها حيث قال موجهاً الخطاب لتلميذه – محرز البكري – " .....ـ أما بعد أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه فإنك (سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح وما يتصل بالواجب من ذلك...) إلى قوله في بيان هدف التلميذ من طلبه كتابة هذه الرسالة : " لما رغبت من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته فأجبتك إلى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علم دين الله أو دعى إليه, واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه وأول ما عني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقدة من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فإنه روي : أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب

انظر ترجمته في المدارك (2/261) وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (3/1211).

[1](?) انظر: مقدمة الرسالة بشرح الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله (ص/8-9).

الرب وأن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر وقد مثلنا لك من ذلك ما ينتفعون-إن شاء الله-بحفظه ويشرفون بعلمه ويسعدون باعتقاده والعمل به"[1].

فقد بين المؤلف : رحمه الله في هذه المقدمة موضوع الرسالة وإنها جعلت بمثابـة مفاتيح لتعليم الصغار أصول العقيدة ليكون ذلك أرسخ في قلوبهم وهذا يدل على اعتناء أئمة المالكية بعقيدة السلف وتعليمها ونشرها وتقريرها وتقريبها لأفهام الناشئة وإلزامهم بحفظها كما يحفظون القرآن.

2) الرسالة الوافية لمذاهب أهل السنة والجماعة في الاعتقادات وأصول الديانة تأليــف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 440).

اشتملت هذه الرسـالة على مجمـل اعتقـاد أهـل السـنة والجماعة ابتدأها المؤلف رحمه الله بقوله بعد المقدمـة (... فإنكم سألتموني أن أقتضب لكم جملة كافيـة وأصـولاً جامعــة في الاعتقــادات وأصــول الــديانات الــتي يلــزم اعتقادها جميـع المسـلمين ولا يسـع جهلهـا كـل المكلفين من العلمــاء والمفكــرين من الــذكور والإنــاث والأحــرار والعبيد , ممن جرى عليه القلم وبلغ حد التكليف بــالحلم، فأجبتكم عن سؤالكم بما فيه البلوغ إلى مرادكم بمـا هـو لازم لكم ومفــترض عليكم ومــا إذا تــدينتم واعتقــدتموه صــرتم إلى اعتقــاد الحــق وســلمتم من البــدع و الباطــل وسلكتم طريق من مضـى من السـلف وسـنن من تبعهم من الخلف .. "فهذه المقدمة تدل على محتــوى الرســالة وعلى منهج صاحبها وأنه قـد سـار على منهج أهـل السـنة والجماعة.

ثم ذكر في الأصل الأول إن الإيمان بالله يتضمن التوحيد وقــرر توحيــد الأســماء والصــفات الذاتيــة مســتدلا عليــه بالآيات وذكر بعض الأحاديث الدالة على ذلـك , وذكـر في الفصــل الثــاني بعض الصــفات الفعليــة واســتدل عليهــا

---

[1] (?) انظر: المصدر السابق (ص/55).

بالآيـات ثم ذكـر في الفصـل الثـالث القـول في الإسـم والمسـمى وقـرر فيـه الحـق وفـق قـول أهـل السـنة والجماعـة ورد على الجهميـة الضـلال الـذين زعمـوا أن الاسم غير المسمى.

ثم قــــرر جملة من صـــفات الله عز وجل كالاســـتواء والنــزول والكلام وغـير ذلك مسـتدلاً بالآيـات والأحـاديث وأقوال أهل العلم من السلف الصالح.

ثم قـال : قـال أبو عمـرو : " وهـذا دين الأمة وهو قـول أهل السنة في الصـفات أن تمر كما جـاءت بغـير تكـييف ولا تحديد فمن تجـــاوز المـــروي فيها وكيَّف شـــيئاً منها ومثلها بشيء من جوارحنا وآلتنا فقد ضل واعتدى وابتــدع في الدين ما ليس منه , وخرق إجماع المسـلمين وفـارق أئمه الدين , قـال نعيم بن حمـاد[1]وإسـحاق بن راهوية[2]: من شبه الله تعالى بشيء من خلقة فهو كافر[3].

ثم ختم الرسالة

تجـــاه أهل البـــ

السـلاطين والعلمـاء) ... ومن الـواجب على السـلاطين وعلى العلمـاء إنكـار البـدع والضـلالات، وإظهـار الحجج، وبيان الدلائل من الكتاب والسنة وحجة العقل حتى يقطع عذرهم وتبطل شبههم وتمويهاتهم، ثم يؤخـذون بـالرجوع إلى الحق وتـرك ما هم عليه من الباطـل، فـإن رجعـوا وتركـوا ذلك وأظهـروا التوبة منـه؛ وإلا أذلهم السـلطان

---

[1] (?) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الإمام العلامة الحافظ أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي الأعــور صاحب التصانيف ت سنه (229 هـ) انظر ترجمته في السير (10/595) وتذكرة الحفاظ (2/418) تاريخ بغداد (3/306/314).

[2] (?) إسحاق بن ابراهيم بن مخلد التميمي ثم الحنظلي المروزي الإمام الأكبر شيخ المشرق سيد الحفاظ أبو أيوب، ت سنة (238 هـ) انظر ترجمته في السير (11/358) وتذكرة الحفاظ (2/433) البداية والنهاية (10/317).

[3] (?) الرسالة الوافية، (ص/55) .

وعـــاقبهم بما يـــؤدّي الاجتهـــاد إليه على قـــدر بـــدعهم وضـلالاتهم، ومن اسـتحق منهم الاسـتتابة اسـتتابه، ومن وجب عليه القتل بعد الاستتابة قتله ... إلى أن قال: قــال أبو عمر: فهذا لا يسع أحداً جهله من الاعتقـادات وأصـول الـــديانات، والفضل بيد الله يؤتيه من يشـــاء، والله ذو الفضل العظيم"[1].

وقد طبعت هــذه الرســالة بتحقيق الــدكتور محمد بن ســعيد بن ســالم القحطــاني وطبعتها دار ابن الجــوزي للنشر والتوزيع .

3) الأرجوزة في أصول الديانة لأبي عمرو الداني رحمه الله –

وهي أرجوزة نظمها : في بيان أصول الدين وقد ابتدأها في بيان أن السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة بإتباع القرآن العظيم والسنة الصحيحة وإتباع أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- حيث يقول **:**

تدري أخي أين طريق الجــنة ... طريقــها الكتـــاب ثم الســـنة

إلى أن يقول ::

... ومن عقود الســـنة الإيـــمان ... بكـــل ما جـــاء به القـــــــرآن

وبالحديث المسند المـــــــــرويّ ... عن الأئـــــــمة عن النـــــــبي

ثم قرر توحيد الأسماء والصفات بقوله:

كلم عبده موسى تكليما ... ولم يزل مدبرا حكيما

كلامه وقوله قديم ... وهو فوق عرشه العظيم

والقول في كتابه المفصل ... بأنه كلامه المنزل

على رسوله النبي الصادق ... ليس بمخلوق ولا بخالق

من قال فيه: إنه مخلوق ... أو محدث فقوله مروق

---

1 (?) المصدر السابق (ص/161).

ثم هاجم المبتدعة من الجهمية [2]

(?)[2] اتباع الجهم بن صفوان الذي تتلمذ على الجعد بن درهم ونشر أفكاره وتعتبر الجهمية من أوائل
الفـرق الكلامية التي عارضت صحيح المنقول بالأدله العقلية وعطلت الله تعالى عن أسمائه
الحسنى وصفاته العلى وجميع الفــرق الكلامية التي جاءت بعد الجهمية قد تأثرت بأفكارها.
انظر: الملل والنحل للشهـر ستاني (1/86)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيميه (1/309) الفرق
بين الفرق، (ص/211)

والمعتزلة [1] وغيرهم وصرح بأسماء بعضهم محذراً من الاغترار بهم وبدعهم مشنعاً عليهم واصفا لهم بأقبح الأوصاف حيث يقول :

أهون بقول جهم الخسيس **وواصل[2] وبشر المريسي**

ذي السُخُف والجهل وذي العناد **معمر[3] وابن أبي دؤاد[4]**

وابن عبيد[5] شيخ الاعتزال **وشارع البدعة و الضلال**

---

[1] (?) سموا بذلك نسبة إلى واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل حلقة الإمام الحسن البصري رحمه الله وقال بالمنـزلة بين المنـزلتين، وهم من أشهر الفرق الكلامية غلواً في تقديم ما يسمونـــه المعقولات على المنقول، وهم أصحاب الأصـول الخمسة التوحيد -ويقصدون به نفي الصفات والعدل، وينفون به الـقدر- وإنفاذ الوعيد -ويقصدون به خلود صاحب الكبـيرة في النار- والمنـزلة بين المنزلتين -ويقصدون به أن صاحب الكبيرة لا يحكم بإيمانه ولا يحكم بكــفره- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-ويقصدون به الخروج على ولاة الأمر- انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (1/235) والفرق بين الفرق للبغدادي، (ص/30) والملل والنحل للشهر ستاني (1/43) والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد بن عبد الله المعتق.

[2] (?) واصل بن عطاء الغزال البصري المتكلم البليغ المتشـدق رأس المعتزلة وداعيهم الى بدعته كان ممن يحضر مجلس الحسن البصري ثم اعتزله وانضم إلى قرينة عمرو بن عبيد فسمي اتباعه المعــتزلة من تصانيفة كتاب أصناف المرجئة وكتاب التوبة مات سنة (131 هـ). انظر ترجمته في السير (5/464) والأعلام (8/108).

[3] (?) أبو المعتمر معمر بن عمرو، وقيل: بن عباد البصري السلمي مولاهم العطار المعتزلي مات سنة (215 هـ) انظر ترجمته في السير (10/546) والأعلام (7/272) .

[4] (?) القاضي أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي الجهمي كان عدواً للإمام أحمد بن حنبل وكان داعية إلى القول بخلق القرآن مات سنة (240 هـ) انظر ترجمته في السير (11/169) وتاريخ بغداد (4/141)

والجاحظ[1] القادح في الإسلام النظام[2]
بالجبائي[3] ونجله[4] السفيه ذي الخناء

واللاحقي[5] وأبي الهذيل[6] مؤيدي الكفر بكل ويل
وذي العمى ضرار[7] المرتاب وشبههم من أهل الارتياب

5(?) عمرو بن عبيد بن باب البصري كبير المعتزلة وأولهم، ولد عام (80 هـ) وهلك عام (144ه) من مصنفاته: كتاب العدل , وكتاب الرد على القدرية ت سنه (144 هـ) انظر ترجمته في: السير (6/104)، تاريخ بغداد (12/162).

1(?) ذو النون أبو عثمان بن بحر بن محبوب البصري من المعتزلة، أخذ عن النظام وغيره، وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة، توفي سنة (250ه) ، انظر ترجمته في السير(11/526) ومعجم الأدباء (16/74).

2(?) شيخ المعتزلة صاحب التصانيف أبو اسحاق ابراهيم بن سيار مولى الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، قال الذهبي: "لم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم وكفره جماعة"، توفي سنة بضع وعشرين ومئتين، انظر: ترجمته في السير (10/541) تاريخ بغداد (6/97) .

3(?) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي من أئمه المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه نسبة الطائفه الجبائية له مقالات انفرد بها في المذهب توفي سنه (303 هـ) انظر ترجمته في الأعلام (6/256) والسير (14/183).

4(?) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي عالم بالكلام من كبار المعتزلة له آراء انفرد بها تبعته فرقة البهشمية من مصنفاته: الشامل في الفقه، تذكرة العالم، العدة في أصول الفقه، ولد سنة (277ه) وهلك سنة (321ه) انظر: ترجمته في تاريخ بغداد (11/55) والأعلام (4/7).

5 (?) أبان بن عبد الحميد بن عفير الرقاشي شاعر مكثر من أهل البصرة، نسب إلى جده، انتقل إلى بغداد، واتصل

ثم قرر صفة النـزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله فقال:

ومن صحيح ما أتـى به الخبر وشاع في الناس قديما وانتشر

نزول ربنا بلا امتراء في كل ليلة إلى السماء

من غير ما حد ولا تكييف سبحانه من قادر لطيف

4) العقيدة النونية للقحطاني للإمام أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي.

هذه القصيدة اشتملت على علوم كثيرة في العقيدة والفقة والآداب وقد بلغت ستمائة وتسعين بيتاً منها مائه وثمانية وستين بيتاً في الاسماء والصفات والرد على الأشاعرة، قرر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة وقد اثنى عليها كثير من أهل العلم منهم الشيخ علي بن سليمان آل يوسف[1] في كتابه " أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة " حيث قال في مدحها :

بالبرامكة، فأكثر من مدحهم، وخص بالفضل بن يحــيى ونظم لهم الكليلة ودمنــة، وكتبا كثـيرة، كسـيرة (أردشـير) وسـيرة (أنوشــيروان) وكتــاب (مــزدك) واتصل بالرشــيد فكــان من شعرائه، مـات سـنة (200ه)، انظر ترجمته في خزانة الأدب للبغـدادي (3/458)، والنجـوم الزاهـرة (2/167)، والأعلام (1/27).

[6](?) رأس المعتزلة أبو الهذيل , محمد بن الهذيل البصري العلاف صاحب التصانيف أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطا الغزال توفي سنة (227 هـ) انظر ترجمته في السير (10/542) وتاريخ بغداد (3/366).

[7] (?) ضرار بن عمرو من رؤوس المعتزلة، شيخ الضرارية، قال المروذي: "قال أحمد بن حنبل: شهدت على ضرار بن عمرو عند سعيد بن عبد الرحمن فأمر بضرب عنقه فهرب" وقال حنبل: "دخلت على ضرار ببغداد وكان مشوها وبه فالج وكان معتزليا فأنكر الجنة والنار وقال: اختلف فيهما: هل خلقتا بعد أم لا؟ فوثب عليه أهل الحديث وضربوه"، انظر ترجمته: في السير (20/41) والوافي بالوفيات (5/260) والأعلام (3/215).

يا من يروم نجاته يوم الجزا — والفوز بالجنات الرضوان
اسمع وصية ناصح يهدي إلى — دين الإله وسنة العدناني
قرت بها عين الشريعة وارتوت — منها رياض الفضل والإحسان
وتفجرت منها ينابيع الهدى — فجلت صدى التعطيل والبهتان
وبدا لنا منها صباح مسفر — لكن يراه من له عينان
فاتبع مسالكها وسر في ضوئها — واحذر سلوك مناهج الشيطان
نظمت لآليها قريحة جهبذ — حاز الفخار بحلبة الفرسان
وسما على أقرانه بفخاره — فلك العلى والفخر يا قحطاني
فلقد حميت حمى الشريعة بعد ما — مدت إليه يد الخبيث الجاني
وضربت هام المعتدي بمهند — عضب صقيل الشفرتين يماني

إلى أن قال:

فجزاك رب العرش خير جزائه — وحباك في الفردوس بالولدان(1)

5) الشهب المرمية على المعطلة والجهمية للشيخ أحمد بن مشرف الوهيبي التميمي الأشيقري بلدا المالكي مذهباً

وعنوانها دليل على مضمونها وقد قدم لها بقوله :- لما كان في سنة ست وثلاثين بعد المائتين والألف كثر في بلدنا الخصوم والجدل من أهل التجهم والإعتزال

[1] (?) هو: علي بن سليمان بن علي اليوسف تعرف أسرتهم بالحلوة ولد في بلدة عنيزة بالقصـيم، وانتقل مع والده صغيراً إلى بغداد وقد طلب العلم على يد العلامة محمود شكري الألوسي وتوفي بقرية الدورة ليلة عرفة سنة (1337 هـ) من مصنفاته : أسمى المطالب في مدائـح سيد طالب وقصيدة في الرد على أمين حنش البغدادي , وقصيدة في الرد على النبهاني انظر ترجمته في علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (3/716) ترجم له سعود بن عبد الرحمن اليوسف انظر أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة (ص/ 13-20).

[1] (?) انظــر: النونية القحطانية تحقيق عبد العزيز بن محسن الجربوع (ص 9/10).

وفشت عقائد الضلال , وأرادو أن يصدوا الواردين عن ورد منهل الوحي العذب الزلال فنظمت هذه العقيدة اللامية وسميتها " الشهب المرمية على المعطلة والجهمية "

وقد رد فيها على الجهمية نفاة الصفات مقرراً لصفات الله عز وجل كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

وقد طبعت هذه الرسالة ضمن ديوان بن مشرف : كما وردت ضمن كتاب اربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة للشيخ على بن يوسف آل يوسف بإشراف سعود بن عبد الرحمن اليوسف ص 113[1]

كما أنه : نظم عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني المتقدم ذكرها[2].

هذا ما وقفت عليه من مؤلفات أئمة المالكية في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، وهناك مؤلفات عديدة ذكرها جمع من المؤلفين؛ لكني لم أطلع عليها بعد أن بذلت جهداً في الوصول إليها، ويبدو لي-والعلم عند الله- أنها فقدت، ولعل الله أن يوفق من يشاء من عباده للبحث عنها وإخراجها للناس لينتفع بها من وقف عليها.

منها :

1- **كتاب الرد على أهل الأهواء تأليف أصبغ بن الفرج[3].**
2- **كتاب الرد على أهل الأهواء تأليف محمد بن سحنون [4].**

---

1 (?) انظر: أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة جمع إبراهيم بن عبد الله الحازمي (ص/ 71).

2(?) انظر: عقيدة السلف تقديم بكر بن عبد الله ابو زيد : (ص/ 63).

3 (?) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الشيخ الإمام الكبير مفتي الديار المصرية وعالمها أبو عبد الله الأموي مولاهم المصري المالكي كان من أعلم خلق الله بآراء مالك يعرفها مسألة مسألة . متى قالها مالك , ومن خالفه فيها ت: سنة (225 هـ)، انظر: ترجمته في ترتيب المدارك (1/325). والسير (10/656)

3- كتاب السنة له أيضاً.
4- كتاب السنة تأليف محمد بن أبي يحي الوقار[1].
5- كتاب السنة والنهي عن البدعة تأليف أحمد بن يزيد القرشي[2].
كتاب الحجة في الرد على أهل البدع تأليف يحي بن عون الخزاعي[3].
6- شرح أسماء الله الحسنى تأليف عبد العزيز بن إبراهيم القرشي المعروف بابن بزيزة[4]

[4] (?) محمد بن سحنون – عبد السلام بن سعيد التنوخي القيـرواني أبو عبد الله شيخ المالـكية، وفقيه المغرب، وابن فقيهها كان محدثاً بصيراً بالآثار واسع العلم متحرياً متقناً كبير الـقدر, من مؤلفاته كتاب السير , والتاريخ ,ت سنة (256 هـ)، انظر: ترجــمته في ترتيب المـدارك (1/424) والسير، (13/60) .

[1] (?) محمد بن أبي يحيى زكريا بن إبراهيم أبو بكر القرشي مولى بني عبد الدار, الفقيه المالكي الوقّار، ت (269 هـ) انظر: ترجمته في المدارك (1/335)، وجمهرة تراجم الفقهاء (3/1229).

[2] (?) أحمد بن يزيد ابو عبد الله القرشي الفقية المحدث العابد المالكي, يعرف بالمعلم، (ت:284 هـ انظر: ترجمته في رياض النفوس (1/473) وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (1/299) .

[3] (?) يحيى بن عون بن يوسف الخزاعي أبو بكر كان رجلاً صالحـاً من أهل الفقه والعلم ت سنة (298 هـ) انظر: ترجمته في ترتيب المدارك (2/275) وجمهرة تراجم الفقهاء (3/1356).

[4] (?) أبو محمد عبد العزيز بن ابراهيم القرشي التونسي عرف بابن بزيزة الإمام العلامة المالكي من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم وشرح التلقين وشرح الأسماء الحسنى ت سنة (673 هـ). انظر ترجمته في نيل الإبتهاج (2/295) وكفاية المحتاج (1/286).

المبحث الثاني: جهود علماء المالكية العملية، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: التحديث والتدريس في الحِلَق.

كان لأئمة المالكية جهود في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات من خلال الدروس في الحِلَق وعقد المجالس للإملاء والتحديث.

وقد حفلت كتب الصحاح والسنن والمسانيد بالأحاديث التي نقلها أئمة المالكية بأسانيدها وحدثوا بها تلاميذهم.

ونظرا لكثرتها فسأكتفي بما ورد في الصحيحين مما يوضح بجلاء اهتمام هؤلاء الأئمة بباب الأسماء والصفات مبتدءا بصحيح الإمام البخاري : مرتبا هذه الأحاديث على حسب وفيات محدثيها، ثم صحيح مسلم كذلك.

فأولا: صحيح البخاري

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري:

1. حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أن أبا مرة مولى عقيل بن أبي طالب أخبره عن أبي واقد الليثي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وذهب واحد، قال فوقفا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه".[(1)]

فقد نقل البخاري تحديث شيخه إسماعيل ابن أبي أويس صاحب مالك، عن شيخه مالك -رحمه الله- أنه حدّثه بهذا الحديث.

---

[1] (?) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها. ومسلم في كتاب السلام، باب : من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها.

2. وقال: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة س: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "ينـزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له."[1]

وفي هذا الحديث أيضاً نقل تحديث الإمام مالك صاحبه عبد الله بن مسلمة القعنبي، وقد حدّث القعنبي بهذا الحديث.

3. وقال: حدثنا عبد الله بن يوسف: أخبرني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد"[2]

في هذا الإسناد تحديث مالك تلميذه وصاحبه عبد الله بن يوسف التنيسي، وتحديث عبد الله التنيسي أصحابه بهذا الحديث.

4. وقال: حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم، وهو أعلم بكم، فيقول كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون".[3]

---

1 (?) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب الدعاء من آخر الليل، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أفضل الصلاة طول القنوت.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل. ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين، يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:

5. وقال: حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال: " لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي".[1]

6. وقال: حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر أو غنيمة".[2]

7. وقال حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة س أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه".[3]

وفي هذه الأحاديث تحديث مالك صاحبه إسماعيل ابن أبي أويس.

8. وقال: حدثنا يحيى بن سليمان: حدثني ابن وهب قال: حدثني مالك عن زيد بن أسلم
عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري س قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: "إن الله تعالى يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول ألا

(ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ) ،ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ( ) ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ( ) ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (   )

أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا".[1]

في هذا الإسناد تحديث مالك وتحديث عبد الله بن وهب.

9. وقال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثني مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري

عن أبي هريرة س عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات، وليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين".[2]

في هذا الإسناد تحديث الإمام مالك.

10. وقال: حدثنا عبد الله بن مسلمة: حدثنا يزيد بن إبراهيم... عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة ل قالت:

"تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-هذه الآية: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ) [آل عمران:7]

قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم".[3]

11. حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا فضيل عن منصور عن إبراهيم عن همام عن عدي

ابن حاتم قال : "سألت النبي - صلى الله عليه وسلم-، قلت أرسل كلابي المعلمة قال: إذا أرسلت كلابك

---

[1] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: كلام الله مع أهل الجنة. ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: احلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا.

[2] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

[3] (?) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: (ﮗ ﮘ ﮙ) ومسلم في كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، والنهي عن الاختلاف في القرآن.

المعلمة، وذكرت اسم الله، فأمسكن فكل، وإذا رميت بالمعراض فخزق فكل"[4]
ففي هذين الإسنادين تحديث عبد الله بن مسلمة القعنبي.

4 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب السـؤال بأسـماء الله الحسنى، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، بـاب: الصـيد بالكلاب المعلمة.

12. حدثنا قتيبة بن سعيد[1] حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل قال: قال عبد الله
س "من حلف على يمين يستحق بها مالا- وهو فيها فاجر- لقي الله وهو عليه غضبان"، فأنزل الله تصديق ذلك (... فقرأ إلى...) [آل عمران:77] .
ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا، فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ قال فحدثناه، قال فقال صدق لَفِيَّ والله أنزلت، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-"شاهداك أو يمينه". قلت: إنه إذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله، وهو عليه غضبان"، فأنزل الله تصديق ذلك، ثم اقترأ هذه الآية:(...إلى...) [آل عمران:77] [2]

13. حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري عن أبي حازم قال: أخبرني سهل س يعني ابن سعد قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم-يوم خيبر: "لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله..."[3]

14. حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد عن عمرو عن جابر بن عبد الله قال لما

---

1 (?) شيخ الإسلام، المحدث الإمام الثقة الجوال، راوية الإسلام، أبو رجاء، قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي مولاهم البلخي...من موالي الحجاج بن يوسف الثقفي، ت: سنة (240هـ)، انظر ترجمته في ترتيب المدارك، (1/303)، والسير، (11/13).

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الرهن، باب: إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمينٍ فاجرة بالنار

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل على بن أبي طالب س.

نزلت هذه الآية (ۀ ہ ہ ۀ ہ   ) [الأنعام:65]، قال النبي –
صلى الله عليه وسلم- أعوذ بوجهك، فقال: (ۋ ۋ ۋ).
فقال النبي – صلى الله عليه وسلم-:أعوذ بوجهك. قال
(ۋ ۊ ۊ)، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: هذا أيسر"[1].

15. حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي
أوفى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-يوم الأحزاب: "اللهم منـزل الكتاب سريع الحساب اهــزم الأحزاب وزلزل بهم"[2].

في هذه الأحاديث تحديث قتيبة بن سعيد المالكي -رحمه الله تعالى-.

16. حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي
هلال عن زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما...
فساق الحديث إلى قوله ع: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء، وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا"[3].

---

[1] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب: قول الله تعـالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ)

[2] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعـالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ) ومسلم في كتـاب الجهـاد والسـير، بـاب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

[3] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ٺ ٺ ٿ ٿ . ٺ ٿ ٿ)، ومسلم في

17. حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة: أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: " احتج آدم وموسى فقال موسى أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة ؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق؟ فحج آدم موسى"[1].

18. حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله: عن حديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكل حدثني طائفة من الحديث، قالت: فاضطجعت على فراشي وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله يبرئني؛ ولكن، والله ما كنت أظن أن الله ينـزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، وأنزل الله عز و جل (ٱ ب ٻ ٻ ٻ پ) [النور:11-20]. العشر الآيات كلها"[2].

في هذه الأحاديث تحديث يحيى بن بكير المالكي -رحمه الله تعالى-.

ثانيا: صحيح مسلم، قال الإمام مسلم : -في صحيحه:

1-حدثنا حرملة بن يحيى التجيـبى، أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنى حيوة حدثنى ابن الهاد عن أبى بكر بن حزم عن عمرة - يعنى بنت عبد الرحمن - عن عائشة زوج النبى ع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: " يا عائشة إن الله رفيق يحب

كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

[1] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ) ، مسـلم في كتـاب القـدر، بـاب: حجـاج آدم وموسـى عليهمـا السلام.

[2] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيـد، بـاب: قـول النـبي ع "الماهر بالقرآن مع الكرام البررة، ومسلم في كتاب التوبــة، باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف مطولا.

الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه"[1].

في إسناد هذا الحديث تحديث حرملة بن يحيى التجيـبى المالكي وتحديث عبد الله بن وهب المالكي.

2-قال: حدثنى عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبى حدثنا المغيرة - يعنى ابن عبد الرحمن الحزامى - عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة س قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-" لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها"[2].

في إسناد هذا الحديث تحديث عبد الله بن مسلمة القعنبي المالكي.

3-قال: وحدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك س، قال: دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله.

قال أنس: أنزل الله عز وجل فى الذين قتلوا ببئر معونة قرآنا قرأناه حتى نسخ بعد: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا، فرضى عنا، ورضينا عنه"[3].

4-حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب عن أبى عبد الله الأغر وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "ينـزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

---

1 (?) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

2 (?) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب: في الحض على التوبة، والفرح بها.

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)، ومسلم في كتاب المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نـزلت بالمسلمين نازلة.

الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له، ومن يسألنى فأعطيه، ومن يستغفرنى فأغفر له"[1]

5-وقال: حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال:

"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم- وهو أعلم بهم-كيف تركتم عبادى؟

---

1 (?) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب: الدعاء من آخر الليل، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: أفضل الصلاة طول القنوت.

فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون"[1].
في أسانيد هذه الأحاديث ذكر تحديث الإمام مالك وتحديث صاحبه يحيى بن يحيى بن بكير

6-وقال:حدثنا يحيى بن يحيى التميمى وقتيبة بن سعيد جميعا عن حماد - قال يحيى أخبرنا حماد بن زيد - عن غيلان عن عبد الله بن معبد الزمانى عن أبى قتادة أن رجلا أتى النبى ع فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-فلما رأى عمر غضبه قال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله، فجعل عمر س يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه..."[2].
في إسناد هذا الحديث تحديث ثلاثة من المالكية وهم: يحيى بن يحيى، وقتيبة بن سعيد، وحماد بن زيد.

7-وقال: حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا المغيرة بن عبد الرحمن الحزامى عن أبى الزنــاد عن الأعرج عن أبى هريرة س عن النبى ع قال: "تكفل الله لمن جاهد فى سبيله- لا يخرجه من بيته إلا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته - بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر، أو غنيمة"[3].
في إسناد هذا الحديث تحديث يحيى بن يحيى.

8-وقال: حدثنا يحيى بن يحيى وجعفر بن حميد قال جعفر حدثنا وقال يحيى أخبرنا عبيد الله بن إياد بن لقيط عن إياد عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته تجر زمامها بأرض قفر

---

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ) ، ومسلم في كتاب المساجد، بـاب فضل صـلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

2 (?) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب: استحــباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى:(ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ) [الصافات:171]، ومسـلم في كتـاب الإمـارة، بـاب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

ليس بها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجذل شجرة فتعلق زمامها، فوجدها متعلقة به، قلنا شديدا يا رسول الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "أما والله! لله أشد فرحا بتوبة عبده من الرجل براحلته"[1].

في إسناد هذا الحديث بيان تحديث يحيى بن يحيى.

9-وقال:حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن سعيد بن يسار أنه

سمع أبا هريرة س يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب- ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه، أو فصيله"[2].

10- وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث، وحدثنا محمد بن رمح واللفظ له أخبرنا

الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن الحارث بن يعقوب أن يعقوب بن عبد الله حدثه أنه سمع بسر بن سعيد يقول: سمعت سعد بن أبى وقاص س يقول:

سمعت خولة بنت حكيم السلمية تقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم-يقول: "من نزل منـزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شىء، حتى يرتحل من منـزله ذلك"[3].

11- وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز -يعنى ابن محمد- عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة س أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "المؤمن يغار، والله أشد غيرا"[4].

---

1 (?) أخرجه مسلم في كتاب التوبـة، بـاب: الحث على التوبـة والفرح بها.

2 (?) أخرجـه البخـاري في كتـاب الزكـاة، بـاب: الصـدقة من كسب طيب، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: قبول الزكاة من الكسب الطيب، وتربيتها.

3 (?) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: في التعـوذ من سوء القضاء، ودرك الشفاء وغيره.

4 (?) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، بـاب: غـيرة اللـه تعـالى،

في أسانيد هذه الأحاديث بيان تحديث قتيبة بن سعيد.

وتحريم الفواحش.

المطلب الثاني: المناظرات.

قال ابن فارس-رحمه الله-" النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار، ويتوسع فيه..."[1].

وقال الراغب: "المناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته"[2].

وبعض أهل العلم يجعل المناظرة بمعنى المجادلة.

قال ابن الأثير: " المجادلة: المناظرة والمخاصمة"[3].

وقال الجويني: " لا فرق بين المناظرة والجدال، والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع"[4].

والناظر في نصوص الشريعة التي ورد فيها ذكر المجادلة والمناظرة يجدها على ضربين:

الأول: نصوص فيها الأمر والحث على ذلك، والإخبار بأنه طريقة الأنبياء في تبليغ الدعوة، والدفاع عنها.

الثاني: نصوص أخرى فيها النهي عن ذلك، والتحذير من المجادلة.

وقد نظر المحققون من أهل العلم-ومنهم المالكية- إلى هذه النصوص التي أمرت به، وتلك التي حذرت منه فعلموا أنها حق وصدق،ولا تعارض بينها فاعتبروا المناظرة المأمور بها غير المناظرة المنهي عنها، فقالوا: المجادلة والمناظرة نوعان: محمودة، ومذمومة، وعلى ذلك تنـزل نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف، وعلماء الأمة[5].

---

1 (?) معجم مقاييس اللغة، باب النون والظاء وما يثلثهما، (ص/997).

2 (?) المفردات في غريب القرآن، (ص/518).

3 (?) النهاية في غريب الحديث، (1/247).

4 (?) الكافية في الجدل، (ص/19).

5 (?) انظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد للدكتور عثمان على حسن، (1/279).

وقد عقد حافظ المغرب الإمام ابن عبد البر في كتابه:- جامع بيان العلم وفضله- بابا في ما تكره فيه المناظرة والجدال والمراء نقل فيه أقوال أهل العلم في النهي عن المناظرة والمجادلة، ووجه فيه هذه الأقوال، ثم عقد بابا آخر لبيان جواز ذلك، وأنه ينظر فيه إلى المصلحة، فقال: " باب إتيان المناظرة والمجادلة، وإقامة الحجة" ونقل فيه الأقوال التي تدل على جواز المناظرة، وذكر أمثلة لأنواع المناظرات الواردة في الكتاب والسنة، وعن سلف الأمة"[1].

وقد كان لأئمة المالكية جهود في مناظرة أهل البدع لردهم عن بدعهم، وإظهار الحق ونصرته، فمن ذلك:

1- **مناظرة الإمام مالك لمن سأله عن الاستواء** حيث رويت على أوجه كثيرة، فمن ذلك ما ذكره القاضي عياض في مداركه حيث قال:" قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكاً، فقال: "الرحمن على العرش استوى"،كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك ملياً حتى علاه الرحضاء، وما رأينا مالكاً وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به ثم سري عنه. فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب؛ وإني لأظنك ضالاً أخرجوه عني".

فناداه الرجل يا أبا عبد الله والله الذي لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له"[2].

2-**مناظرة سعيد بن الحداد** [3] **لابن الأشج** في مجلس أمير القيروان إبراهيم، قال-رحمه

---

1 (?) انظر جامع بيان العلم وفضله، (2/139-157).

2 (?) ترتيب المدارك، (1/87-88).

3 (?)أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني، شيخ المالكية، وهو أحد المجتهدين، وكان بحراً في الفروع، ورأسا في لسان العرب، بصيراً بالسنن. توفي سنة 302هـ. انظر ترجمته في رياض النفوس (2/57)، والسير (14/205).

الله-: " دخلت على إبراهيم الأمير، وكان حاضرا للمجلس ابن الكوفي، وهو قاضيه يومئذ، وابن الأشج، وجماعة، فلما دخلت عليه أومأ إلي-ولم أقبل له يدا، ولا لغيره قط- قال: وأدناني حتى لصقت إلى سريره، ثم أخذ بعض النافية-وهم القائلون بخلق القرآن-
فقال: أيها الأمير كثر التشبيه، وفشا بالقيروان، وقال قائلون كذا، وقال آخرون كذا.
قال أبو عثمان: صرح النافي، وكنيت أنا إجلالا لله عز وجل عن تشنيع أهل التعطيل على أولي السنة، وعلمت أنه إنما أراد أن يحرك بذلك الأمير ليصل منه إلى أمر يجد به السبيل إلى كيد السنة وإماتتها، فقلت له: أيها الأمير، إن ما استفاض من الخبر، وانتشر دخل على البكر في خدرها، والبادي في بدوه، فكيف بمن حضر، فليشر- أيها الأمير- إلى رجل، قال ذلك من جميع البرايا، فإن لم يفعل، فاعلم مقامه- يعني من الكذب والكفر- قال: فقال له الأمير: اذكر أحدا، قال: سوف أطلب ذلك، قال أبو عثمان: فقلت له: طلبناك بذكر ما سلف إلى صرت تطلبه في التوقيف، قال: فقال الأمير: آمر مناديا ينادي: لا يتكلم أحد في الكلام، قال: فقلت له أيه الأمير: الناس هادون ساكنون، فمتى ناديت حركت ساكنا.
قال: ثم جرى ذكر تكلم الله تعالى لموسى ج، فقلت: ممن سمع موسى الكلام؟ فقال ابن الأشج: من الشجرة، قلت: من ورقها، أو من لحائها؟ قال أبو عثمان فو الله ما درى أحد من أهل المجلس مرادي- فيما ظهر لي- إلا الأمير، فبدر، فقال لابن الأشج: اسكت، ويلك خوفا أن يجيب فيجب عليه القتل، قيل لأبي عثمان، وما أردت- أصلحك الله- بهذا الكلام؟ فقال: لأنه كل ما صرح، فقال: بأنه من الشجرة على الحقيقة كفر، وزعم أن الله تبارك وتعالى لم يكلم موسى، وأنه لم يفضله بكلامه، قال: ثم حول الأمير وجهه إليَّ، فقال لي: أقول لك كما قلت لابن طالب: لا أقول مخلوقا، ولا غير مخلوق، قال: فقلت له لم؟، قال: لأن الله تعالى قال: كلامي، ولم يقل مخلوقا،

ولا غير مخلوق، قال: فقلت له، فإن قال غيرك مثل ما قلت في علم الله سبحانه، فقال: إن الله عز وجل لم يقل مخلوقا، ولا غير مخلوق، وسلك في العلم مسلكك في الكلام؟ قال: فقال: والله لو قال ذلك أحد لقسمته بسيفي، قال: فقلت له: ولم؟ قال: لأنه لو كان مخلوقا لكان قبل أن يخلق العلم جاهلا؛ لأن ضد العلم الجهل، قال: فقلت له، فكذلك، لا يقال في الكلام مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقا لكان موصوفا قبل خلقه بضده، وهو الخرس، وما لزم في العلم لزم مثله في الكلام.

ودليل آخر إن العلم لا يعدو إحدى منزلتين: إما أن يكون صفة فعل كان من الله عز وجل، فمن شك في خلق ذلك، فهو كافر، ولعلم الله، وقدرته، ومن شك فلم يدر ذلك مخلوق، أو غير مخلوق، فهو كافر، والكلام لا يعدو هاتين المنزلتين، فالواقف شاهد على نفسه بأنه تارك للقول بالحق حتما، فقال: فتبسم، وبين لي أنه فهم ما كلمته به، وابن الأشج يكرر القول، ويبديه: يريد القول بالوقف، فأقبل علي إبراهيم بن أحمد، فقال لي: أقول لك كما كنت أقول لابن طالب: أنت لا تضطرني إلى مذهبك، وأنا لا أضطرك إلى مذهبي"[1].

3-ومنها **مناظرة ابن سحنون لأبي سليمان النحوي**، صاحب الكسائي الصغير: "...

فقد حضر محمد بن سحنون يوما عند علي بن حميد الوزير، وكان علي يبغيه، وكان يجل محمدا ويعظمه ويكبره، وكان في مجلسه جماعة ممن يحسنون المناظرة، وأحضر معهم شيخا قدم من المشرق، يقال له: أبو سليمان النحوي، صاحب الكسائي الصغير، وكان يقول بخلق القرآن، ويذهب إلى الاعتزال، فقال علي بن حميد الوزير لمحمد: يا أبا عبد الله ! إن هذا الشيخ وصل إلينا من المشرق، وقد تناظر معه هؤلاء، فناظره أنت. فقال محمد: تقول أيها الشيخ أو تسمع ؟ فقال له الشيخ: قل يا بني.

---

1 (?) رياض النفوس، (2/70-73).

فقال محمد: أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه ؟ فسكت الشيخ، ولم يحر جوابا، ومضى وقت طويل، وانحصر، ولم يأت بشئ.

فقال له محمد: كم سنة أتت عليك أيها الشيخ ؟ فقال له: ثمانون سنة.

فقال ابن سحنون للوزير ابن حميد: قد اختلف أهل العلم في الصلاة على الميت بعد سنة من يوم موته، فقال بعضهم: يصلى عليه، وأجمعوا أنه إذا جاوز السنة لا يصلى عليه.

وهذا الشيخ له ثمانون سنة ميت في عداد الموتى، فقد سقطت الصلاة عليه بإجماع.

ثم قام. فسر بذلك علي بن حميد وأهل المجلس.

فسئل ابن سحنون: أن يبين لهم معنى سؤاله هذا.

فقال: إن قال: إن كل مخلوق يذل لخالقه، فقد كفر، لانه جعل القرآن ذليلا، لانه يذهب إلى أنه مخلوق، وقد قال الله عزوجل: (ک ک ڪگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ) [فُصِّلَت:41-42]

وإن قال: إنه لا يذل، فقد رجع إلى مذهب أهل السنة؛ لانه لا يذهب في هذه الحالة إلى أنه مخلوق الذي هو صفة من صفاته"[1].

4-ومنها **مناظرة عبد الله بن أبي حسّان** [2] **لمن قال بخلق القرآن**:

---

1 (?) المصدر السابق، (2/448-449).

2 (?) هـو يزيـد بن عبـدالرحمن، وقيـل بـالعكس، من أسـر أشراف أفريقيا قدم على مـالكن ومعـه خطـاب من عبداللـه بن غانمن فلما قـرأ مالـك الكتـاب أدنـاه منـه، وأكرمـه، ومن شدة حرصه علي القرب من مجلس مالك جعل لرجـل ثلاثـة دراهم كل يوم يأخذ له مجلسـا يجلس فيـه عنـد مـالكن فـإذا جـاء ابن أبي حسـان قـام لـه الـرجلن فجلس فيـه، قـال ابن وهب: ما رأيت مالكا أميل إلى أحد منـه لابن أبي حسـان،ت: سنة(227هـ)ن انظر ترجمته في تـرتيب المـدارك، (1/279-281)، ورياض النفوس، (1/240).

"حدث فرات بن محمد العبدي قال: سمعت عبد الله بن أبي حسان يقول: دخلت على الأغلب فإذا الجعفري والعنبري يتناظران في القرآن، والجعفري ينكر أن يكون القرآن مخلوقًا، والعنبري يقول إنه مخلوق، فلما رآني الجعفري قال: قد جاء شيخنا أبو محمد يعينني عليكم. قال: فلما جلست قلت للعنبري: وما أنت وذا؟ هذا بحر عميق، عليك بجريان البصرة. يعني النخل العنبري. فقال العنبري: إن كان أبو محمد معك فهذا الأمير معي، يعني الأغلب، فقلت: ما للملوك والكلام في الدين؟ فأحفظه ذلك، يعني أغضبه، ثم قال لي: يا أبا محمد، وكذلك من أتى السلطان هو مثل السلطان، فقلت له: إنما أتاكم الآتي لأنكم خير ممن هو شر منكم، ولو أتى من هو خير منكم لأتاه الناس ولم يأتوكم" [1].

1 (?) المصدر نفسه، (2/286-287).

المطلب الثالث: الردود على المخالفين.

تنوعت جهود علماء السلف في تقرير توحيد الأسماء والصفات، والرد على المخالفين، والمتتبع لردود أهل السنة على المبتدعة يجد أنهم ردوا عليهم بشتى أنواع الردود، ما بين الرد عبر المؤلفات والرسائل، ومن خلال الدروس والإجابة على الأسئلة التي يلقيها بعض هؤلآء المبتدعة على أئمة أهل السنة أو على عامة الناس بقصد التشكيك في المنهج الحق، أو إدخال الشبه على التلاميذ. وقد قمع الله بهذه الجهود زحف المبتدعة من المعتزلة والجهمية والأشاعرة وغيرهم، مما حدا بِهؤلآء إلى التستر وعدم إظهار ما هم عليه من باطل خوفاً من التعرض لسهام أهل الحق؛ بل بلغ من شدتهم على أهل البدع أن حكموا بكفر بعضهم وردّته، ووصفه بالزندقة، والأمر بقتل بعضهم، وفي ذلك أبلغ الرد عليهم والتحذير من بدعهم.

والمحققون من المالكية لم يخرجوا عن هذا المنهج، وكان لهم جهود في الردود على المخالفين في هذا الباب، ومحاولة إقناعهم، والرد عليهم بالكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، ومن أمثلة ذلك:

1- قال مطرف سمعت مالكاً إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء يقول: قال

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها إتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها ولا النظر في شيء خالفها. من اهتدى بها استنصر، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. وكان مالك إذا حدث بهذا ارتج سروراً، وسأل رجل مالكاً من أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري"[1].

---

[1] (?) ترتيب المدارك، (1/88).

وفي ضمن إجابة الإمام مالك الرد على المخالفين الذين يخالفون أهل السنة والجماعة في القول والعمل، والانتساب فكل من خالف أهل السنة فهو من أهل البدع.
قال ابن نافع وأشهب وأحدهما يزيد على الآخر."
قلت يا أبا عبد الله: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. ينظرون إلى الله! قال نعم بأعينهم هاتين فقلت له فإن قوماً يقولون لا ينظر إلى الله، إن ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب. قال كذبوا بل ينظر إلى الله أما سمعت قول موسى عليه السلام: رب أرني أنظر إليك. أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله لن تراني في الدنيا لأنها دار فناء ولا ينظر ما بقي بما يفنى فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما بقي إلى ما بقي وقال الله: (ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ
[المطفِّفين:15]"[1]
وهذا فيه الرد على الزائغين الذين ينكرون رؤية الله عز وجل في الآخرة، ويحرفون النصوص عن ظاهرها.
قال ابن أبي أويــس قال مالك: القرآن كلام الله وكلام الله من الله، وليس من الله
شيء مخلوق زاد غيره عنه، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر، والذي يقف أشد منه يستتاب وإلا ضربت عنقه. وفي رواية ابن نافع عنه يجلد ويحبس من قال ذلك. وفي رواية بشر بن بكير التنيسي يقتل ولا تقبل توبته. قال البركاني والتستري من شيوخنا العراقيين معنى الجوابين المستبصر الداعية ويضرب غيره وسئل عن حديث التنـزيل قال: ينـزل أمره كل سحر وأما هو دائم فلا يزول. وقال الوليد بن مسلم: سألت مالكاً عن هذه الأحاديث فقال: أقرأها كما جاءت. فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال: لم يكن من الفقهاء. قال في رواية ابن القاسم وابن وهب إنه كان لا يعرف هذه الأشياء. وكره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه ولا تبلغه عقولهم فينكروه أو يضعوه في غير موضعه. وجاء إلى مالك رجل فقال له: ما تقول

[1] (?)المصدر السابق (1/89).

فيمن يقول القرآن مخلوق. قال زنديق فاقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته. قال: لم أسمعه أنا إلا منك"[1]

1 (?) المصدر السابق، (1/89-90).

فانظر إلى شدته- رحمه الله- على أهل البدع، وكفى بذلك ردا عليهم، وتبكيتا لهم.

2- ومن ردود أئمة المالكية على المخالفين رد الإمام الحافظ ابن عبد البر على المعتزلة

في إنكارهم علو الله، واستوائه على عرشه حيث قال بعد أن ذكر الآيات الدالة على علو الله عز وجل:

"وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه، ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك؛ وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين والاستواء معلوم في اللغة، ومفهوم وهو العلو، والارتفاع على الشيء، والاستقرار، والتمكن"[1].

وهكذا نجده-رحمه الله- يرد على هؤلاء المبطلين مستدلا بظاهر الخطاب الذي تفهمه العرب من لغتها التي نزل القرآن بها، فكيف إذًا يجوِّز هؤلاء صرف الكلام الظاهر المتبادر إلى الذهن الذي تعرفه العرب؟ ولماذا يعرض هؤلاء عن كلام العرب الواضح البين، ويتبعوا أصحاب العجمة الذين لم يرزقوا فهم اللغة، ولم يوفقوا لاتباع الحق؟

وقال في رده على من استشهد بحديث ضعيف مبينا أن الحديث الضعيف لا يسوغ الاحتجاج به كما شنع عليهم استدلالهم بذلك مع أنهم لا يقبلون أحاديث الآحاد حتى ولو كان رواتها عدولا ثقاتا:

---

1 (?) التمهيد، (7/131).

"وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن واقد الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ) [طه:5] على جميع بريته فلا يخلو منه مكان.

فالجواب عن هذا: أن هذا حديث منكر عن ابن عباس- رضي الله عنه- ونقلته مجهولون ضعفاء؛ فأما عبد الله بن داود الواسطي، وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا، أو أنصفوا، أما سمعوا الله عز وجل حيث يقول: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ) [غافر:36،37]

فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا".

ثم رد عليهم في استدلالهم بقول الله عز وجل: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ) [الزُّخرُف:84]، فقال:"

"فإن احتجوا بقول الله عز وجل: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) وبقوله: (ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) [الأنعام:3] وبقوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ) [المجادلة:7]الآية، وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى قيل لهم لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير، فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش والاختلاف في ذلك بيننا فقط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر، وأما قوله في الآية الأخرى (ﮬ ﮭ ﮮ) [الزخرف:84] فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله".

ثم احتج بالفطرة على علو الله تعالى قائلا:" ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم"[1].

وقال-رحمه الله- في رده على الذين ينفون علو الله تعالى:

"وأما احتجاجهم لو كان في مكان لأشبه المخلوقات؛ لأن ما أحاطت به الأمكنة، واحتوته مخلوق فشيء لا يلزم، ولا معنى له؛ لأنه عز وجل ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته لا يدرك بقياس، ولا يقاس بالناس، لا إله إلا هو كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة، والسموات والأرض، وما بينهما، وهو الباقي بعد كل شيء، وخالق كل شيء لا شريك له، وقد قال المسلمون: وكل ذي عقل أنه لا يعقل كائن لا في مكان منا وما ليس في مكان فهو عدم، وقد صح في المعقول، وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان، وليس بمعدوم، فكيف يقاس على شيء من خلقه؟ أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا الذي لا يبلغ من وصفه إلا إلى ما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه ورسوله، أو أجمعت عليه الأمة الحنيفية عنه"[2].

وفي رده على قولهم: لا يعقل الاستواء إلا مقرونا بالتكييف يقول-رحمه الله-:

"فإن قال إنه لا يكون مستويا على مكان إلا مقرونا بالتكييف، قيل: قد يكون الاستواء واجبا والتكييف مرتفع، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء، ولو لزم

---

1 (?) التمهيد، (7/134).
2 (?) التمهيد، (7/135-136).

هذا لزم التكييف في الأزل؛ لأنه لا يكون كائن في لا مكان إلا مقرونا بالتكييف، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا في أبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية [استوائه] على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه"[1]

3- وقال محمد بن رشد في معرض رده على الذين ينكرون رؤية الله عز وجل:

"الذي عليه أهل السنة والجماعة من الموحدين أن رؤية الله عز وجل جائزة غير مستحيلة، وأن المؤمنين يرونه في الآخرة بأبصار وجوههم على ما جاء به القرآن وتواترت به عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الآثار، خلاف ما ذهب إليه أهل الزيغ المعتزلة والقدرية والخوارج والجهمية من أن رؤية الله عز وجل مستحيلة لا تجوز عليه، تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً.

فمن الدليل الواضح على جواز رؤية الله عز وجل أن موسى - عليه السلام - قد سال ذلك ربه فقال: (ۇ ۆ ۈ ۇٴ) [[الأعراف:143] على ما اخبر الله عز وجل به عنه في كتابه العزيز الذي (ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ) [فُصِّلَت:42] ومن المستحيل أن يسأله ما يعلم أنه لا يجوز في صفته أو أن يجهل هل يجوز ذلك في صفته أم لا، فتكون المعتزلة أعلم بصفات الله تعالى وما يجوز عليه مما لا يجوز منه - صلى الله عليه وسلم - ودليل ثان هو قوله عز وجل: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ) [الأنعام: 103]؛ لأنه عز وجل تمدح بأن الأبصار لا تدركه، فلو كان من المستحيل أن تدركه الأبصار لم يكن له في ذلك مدح، وإنما كان المدح له في ذلك لانفراده بخلق الآفة في الأبصار التي تمنع من إدراكه في الدنيا مع جواز ذلك عليه. وكما هو قادر على خلق الآفة في الأبصار المانعة من رؤيته في الدنيا، فكذلك هو قادر على رفع الآفة من أبصار المؤمنين يوم القيامة حتى يروه على ما نطق به

---

1 (?) المصدر السابق، (7/137).

القرآن وتواترت به السنن والآثار. وإذا جازت عليه الرؤية بما ذكرناه وجبت له؛ إذ لا يقول أحد: إنها تجوز عليه، ولا تجب له"[1].

ثم استطرد-رحمه الله- في ذكر الأدلة على إثبات الرؤية رادا ما يقوله أهل الزيغ والتعطيل أنها لا تجوز عليه فقال:

" ومن الدليل على وجوب رؤية المؤمنين له يوم القيامة قوله عز وجل: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) [القيامة:22- 23] وهو نص في النظر إليه حقيقة لا يحتمل المجاز.

وقوله عز وجل في الكفار مهدداً لهم: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) [المطفِّفين:15] فلو كان هذا أمراً عاماً للمؤمنين، والكافرين لم يكن فيه تهديد للكافرين. وقوله عز وجل: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) [يونس:26] على ما قاله أهل التفسير : إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم؛ لأن الحسنى مستغرق لجميع الإحسان بدخول الألف واللام فيه، فالزيادة على ذلك يجب أن تكون من غير جنس المزيد عليه، ولا شيء يمكن أن يشار إليه في ذلك سوى رؤية الله عز وجل.

ومما يدل على ذلك أيضاً ما رواه الأثبات الثقات عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ونقلوه عنه نقلاً متواتراً من رواية أبي بكر الصديق وعائشة - رضي الله عنهما - وعمران ابن حصين ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عباس ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وغيرهم : أن المؤمنين يرون ربهم كما يرون القمر في ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، وفي بعض الآثار : لا تضارون في رؤيته . وفي بعض الآثار ليس دونه حجاب . وأجمعت الأمة على أن الكافرين محجوبون عن الله تعالى يوم القيامة. وإنما اختلفوا في المؤمنين، فقال أهل الزيغ إنهم لا يرونه ، وقال أهل السنة والجماعة إنهم يرونه على ما بيناه وصححناه"[2].

---

1 (?) البيان والتحصيل، (18/479).
2 (?) المصدر السابق، (18/480).

فهذا البيان منه-رحمه الله رد على الزائغين الذين ينكرون رؤية الله عزوجل في الآخرة، واستدلال بأقوى الأدلة، وأبينها القرآن والسنة على إثبات الرؤية كما هو قول أهل السنة والجماعة، ولم يخالف فيه إلا أهل الزيغ والانحراف الذين يعرضون عن الأدلة الواضحة إلى زبالات الأفكار، وما تمليه عليهم عقولهم القاصرة.

4- وممن رد على المخالفين في الأسماء والصفات العلامة المفسر الأصولي الشيخ محمد

الأمين الشنقيطي حيث قال-رحمه الله- في معرض رده على الذين يقولون: يجب صرف ظواهر النصوص خوفا من التشبيه- " زعم كثير من النظار الذين[1] عندهم فهم، أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها غير لائقة بالله؛ لأن ظواهرها المتبادرة منها هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه، وعقد ذلك المقرئ في إضاءته في قوله:

والنص إن أوهم غير اللائق ... بالله كالتشـــبيه بالخلائـق
فاصرفه عن ظاهره إجماعا ... واقطع عن الممتنع الأطماعا

وهذه الدعوى الباطلة من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى، وأحاديث رسوله - صلى الله عليه وسلم .

والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها، لكل مسلم راجع عقله ، هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه. ولا بد أن نتساءل هنا، فنقول:

أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال ؟

والجواب الذي لا جواب غيره: بلى .

وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال: إن اللفظ الدال على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق ؟

والجواب الذي لا جواب غيره: لا!

فبأي وجه يتصور عاقل أن لفظا أنزله الله في كتابه مثلا دالا على صفة من صفات الله أثنى بها تعالى على

---

1 (?) هكذا وردت، ولعل الصواب: ليس عندهم فهم.

نفسه يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فالخالق والمخلوق متخالفان كل التخالف وصفاتهما متخالفة كل التخالف .

فبأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق ؟ أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق ؟

فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقا بالخالق منزها عن مشابهة صفات المخلوق.

وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن تدخل فيه صفة الخالق.

ثم ضرب لذلك مثلا في اليد، فقال:

فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق، هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم ،

وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى: (ﭡ ﭢ) [المائدة:38]

والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى : (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ) [ص:75]؛ أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله - جل وعلا - ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

وقد بين - جل وعلا - عظم هذه الصفة، وما هي عليه من الكمال والجلال، وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة، قال تعالى في تعظـيم شأنها: (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ) [الزُّمَر:67]

وبين أنها صفة تأثير كالقدرة في قوله تعالى: (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ) [ص:75] فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.

ورد-رحمه الله- على الذين يؤولون اليد بالقدرة قائلا:
ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض .

فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله ; لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها - أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى كتابه العظيم، وأنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين ، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل، فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع ولا قول أحد من السلف .

وماذا عليك لو صدقت الله ، وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ؟

وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق ؟

هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق على أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق ؟

فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنـزيه الله عن مشابهة خلقه.

واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك، ولا من رسولك، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك.

فاليد مثلا التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة، وأنا أنفيها عنك نفيا باتا، وأبدلها لك بوصف لائق بك ، وهو النعمة أو القدرة مثلا أو الجود. سبحانـك هذا بهــتان عظيم. (ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ې ې ﯦ ﯧ) [الطلاق:10-11].

ثم ناقش الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات دون بعض بحجة أن هذه الأوصاف يشتق منها غيرها، وبين أن هذا إيمان ببعض الكتاب دون بعض، وبين أن العرب لا تدرك كيفية صفات الله من لغتها لمخالفة صفاته لصفات الخلق، ومعرفة كيفية الصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فالذات والصفات من باب واحد، فكما أن ذاته جل وعلا تخالف جميع الذوات؛ فإن صفاته تخالف جميع الصفات، فقال:

ومن الغريب أن بعض الجاحدين لصفات الله، المؤولين لها بمعان لم ترد عن الله ولا عن رسوله، يؤمنون فيها ببعض الكتاب دون بعض.

فيقرون بأن الصفات السبع التي تشتق منها أوصاف ثابتة لله مع التنـزيه، ونعني بها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام؛ لأنها يشتق منها قادر حي عليم ... إلخ, وكذلك في بعض الصفات الجامعة كالعظمة والكبرياء والملك والجلال مثلاً؛ لأنها يشتق منها العظيم المتكبر والجليل والملك، وهكذا، ويجحدون كل صفة ثبتت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يشتق منها غيرها كصفة اليد والوجه ونحو ذلك، ولا شك أن هذا التفريق بين صفات الله التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم لا وجه له البتة بوجه من الوجوه.

ولم يرد عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم الإذن في الإيمان ببعض صفاته، وجحد بعضها وتأويله لأنها لا يشتق منها.

وهل يتصور عاقل أن يكون عدم الاشتقاق مسوغاً لجحد ما وصف الله به نفسه؟

ولا شك عند كل مسلم راجع عقله، أن عدم الاشتقاق لا يرد به كلام الله فيما أثنى به على نفسه، ولا كلام رسوله فيما وصف به ربه.

والسبب الموجب للإيمان إيجاباً حتماً كلياً هو كونه من عند الله، وهذا السبب هو الذي علم الراسخون في العلم

أنه الموجب للإيمان بكل ما جاء عن الله، سواء استأثر الله بعلمه كالمتشابه، أو كان مما يعلمه الراسخون في العلم، كما قال الله عنهم: (ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ې) [آل عمران:7].

فلا شك أن قوله تعالى: (ې ې ې) [ص:75] من عند ربنا, وقوله تعالى: (ک گ گ گ گ) [البقرة:284] من عند ربنا أيضاً، فيجب علينا الإيمان بالجميع؛ لأنه كله من عند ربنا.

أما الذي يفرق بينه، وهو عالم بأن كله من عند ربه، بأن هذا يشتق منه وهذا لا يشتق منه فقد آمن ببعض الكتاب دون بعض.

والمقصود أن كل ما جاء من عند الله يجب الإيمان به، سواء كان من المتشابه أو من غير المتشابه، وسواء كان يشتق منه أو لا.

ومعلوم أن مالكاً -رحمه الله- سئل كيف استوى، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب.

وما يزعمه بعضهم من أن القدرة والإرادة مثلاً ونحوهما ليست كاليد والوجه، بدعوى أن القدرة والإرادة مثلاً ظهرت آثارهما في العالم العلوي والسفلي بخلاف غيرهما كصفة اليد ونحوها، فهو من أعظم الباطل.

ومما يوضح ذلك أن الذي يقوله هو وأبوه وجده من آثار صفة اليد التي خلق الله بها نبيه آدم، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم، عالم كل العلم، بأن الظاهر المتبادر مما مدح الله به نفسه في آيات الصفات هو التنـزيه التام عن صفات الخلق، ولو كان يخطر في ذهنه أن ظاهره لا يليق، لأنه تشبيه بصفات الخلق، لبادر كل المبادرة إلى بيان ذلك؛ لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، ولا سيما في العقائد، ولا سيما فيما ظاهره الكفر والتشبيه.

فسكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا يدل على أن ما زعمه المؤلون لا أساس له كما ترى.

فإن قيل: إن هذا القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين، والعرب لا تعرف في لغتها كيفية لليد مثلاً، إلا كيفية المعاني المعروفة عندها، كالجارحة وغيرها من معاني اليد المعروفة في اللغة، فبينوا لنا كيفية لليد ملائمة لما ذكرتم.

فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن العرب لا تدرك كيفيات صفات الله من لغتها، لشدة منافاة صفة الله لصفة الخلق.

والعرب لا تعرف عقولهم كيفيات إلا لصفات الخلق، فلا تعرف العرب كيفية للسمع والبصر، إلا هذه المشاهدة في حاسة الأذن والعين، أما سمع لا يقوم بأذن وبصر لا يقوم بحدقة، فهذا لا يعرفون له كيفية البتة.

فلا فرق بين السمع والبصر، وبين اليد والاستواء، فالذي تعرف كيفيته العرب من لغتها من جميع ذلك هو المشاهد في المخلوقات.

وأما الذي اتصف الله به من ذلك، فلا تعرف له العرب كيفية ولا حداً لمخالفة صفاته لصفات الخلق، إلا أنهم يعرفون من لغتهم أصل المعنى، كما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

كما يعرفون من لغتهم، أن بين الخالق والمخلوق، والرازق والمرزوق، والمحيي والمُحْيا، والمميت والمُمَات, فوارق عظيمة لا حد لها، تستلزم المخالفة التامة بين صفات الخالق والمخلوق.

الوجه الثاني: أن نقول لمن قال: بينوا لنا كيفية لليد ملائمة لما ذكرتم، من كونها صفة كمال وجلال، منـزهة عن مشابهة جارحة المخلوق.

هل عرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة باليد؟ فلا بد أن يقول: لا.

فإن قال ذلك، قلنا: معرفة كيفية الصفات تتوقف على معرفة كيفية الذات. فالذات والصفات من باب واحد.

فكما أن ذاته جل وعلا تخالف جميع الذوات، فإن صفاته تخالف جميع الصفات.
ومعلوم أن الصفات تختلف وتتباين، باختلاف موصوفاتها. ألا ترى مثلاً أن لفظة "رأس" كلمة واحدة؟ إن أضفتها إلى الإنسان فقلت: رأس الإنسان، وإلى الوادي فقلت: رأس الوادي، وإلى المال فقلت: رأس المال، وإلى الجبل فقلت: رأس الجبل؛ فإن كلمة الرأس اختلفت معانيها، وتباينت تبايناً شديداً بحسب اختلاف إضافتها، مع أنها في مخلوقات حقيرة.
فما بالك بما أضيف من الصفات إلى الله وما أضيف منها إلى خلقه، فإنه يتباين كتباين الخالق والمخلوق، كما لا يخفي. " فاتضح بما ذكر أن الشرط في قول المقرئ في إضاءته:
والنص إن أوهم غير اللائق
شرط مفقود قطعاً; لأن نصوص الوحي الواردة في صفات الله لا تدل ظواهرها البتة إلا على تنـزيه الله، ومخالفته لخلقه في الذات والصفات والأفعال.
فكل المسلمين الذين يراجعون عقولهم، لا يشك أحد منهم في أن الظاهر المتبادر السابق
إلى ذهن المسلم هو مخالفة الله لخلقه، كما نص عليه بقوله: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ)
[الشورى:11]، وقوله: (ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ) [الإخلاص:4]، ونحو ذلك من الآيات، وبذلك تعلم أن الإجماع الذي بناه على ذلك في قوله:
فاصرفه عن ظاهره إجماعا
إجماع مفقود أصلاً، ولا وجود له البتة; لأنه مبني على شرط مفقود، لا وجود له البتة.
فالإجماع المعدوم المزعوم لم يرد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، ولم يقله أحد من أصحاب رسول الله، ولا من تابعيهم، ولم يقله أحد من الأئمة الأربعة، ولا من فقهاء الأمصار المعروفين.
وإنما لم يقولوا بذلك; لأنهم يعلمون أن ظواهر نصوص الوحي لا تدل إلا على تنزيه الله عن مشابهة خلقه، وهذا

الظاهر الذي هو تنزيه الله لا داعي لصرفها عنه كما ترى"[1].

وبهذه النقول يتبين لنا جزء من جهود أئمة المالكية العلمية في تقرير الأسماء والصفات بشتى الطرق المتاحة، والمناسبة من خلال ردودهم على المخالفين من الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة، وغيرهم ممن أعرض عن الكتاب والسنة، وحكم آراء الرجال، ومعقولاتهم، وخالف ما عليه أهل الحق. كما يتبين أن محققي المالكية من المتأخرين يوافقون متقدميهم في هذا الباب العظيم، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، فهم لا يختلفون في جميع أبواب الدين؛ لأن المنهل الذي يصدرون عنه واحد لا يتغير، فهم تبع لذلك لم يختلفوا.

فجزى الله أهل السنة والجماعة عموما، والمالكية خصوصا خيرا على ما بذلوه من جهود لنصرة الحق، ودحض الباطل، والله نسأل أن يرد المسلمين إلى دينهم ردا جميلا، ويوفقهم لما عليه سلفهم الصالح من معرفة الحق، ولزومه؛ إنه سميع قريب مجيب!

---

[1] (?) أضواء البيان، (7/473-482).